

المجمع العلمي العربي

(دمشق) كانون الثاني سنة ١٩٢٦م الموافق جمادى الآخرة ورجب سنة ١٣٤٤هـ

المجمع العلمي العربي

« في سنة ١٩٢٥ »

الرئيس : السيد محمد كرد علي

« الأعضاء العاملون والمؤازرون »		« الأعضاء العاملون والمؤازرون »	
السادة :	محل الإقامة	السادة :	محل الإقامة
١٣ عبد الله رعد	دمشق	١ اسعد الحكيم	دمشق
١٤ فارس الخوري	=	٢ الياس القدسي	=
١٥ مرشد خاطر	=	٣ انيس سلوم (عامل)	=
١٦ مسعود الكواكبي	=	٤ بهجة البيطار	=
« الأعضاء المراسلون »		٥ خليل مردم بك	=
١٧ امين الريحاني	بيروت	٦ رشيد بقدونس	=
١٨ بولس الخولي	=	٧ سليم البخاري	=
١٩ جبر صومط	=	٨ سليم الجندي	=
٢٠ شكيب رسلان	=	٩ سليم عنخوري	=
٢١ عبد الباسط فتح الله	=	١٠ عارف النكدي	=
٢٢ عبد الرحمن سلام	=	١١ عبد القادر المبارك	=
٢٣ عبد الله البستاني	=	١٢ عبد القادر المغربي (عامل)	=

« الأعضاء المراسلون »

محل الإقامة		محل الإقامة	
٢٤ فيليب حتي	بيروت	٤٣ سعيد الكرعي	طول كرم
٢٥ فيليب طرازي	«	٤٤ رضا الشبيبي	النجف الاشرف
٢٦ لويس شينو	«	٤٥ امين المعلوف	بغداد
٢٧ عيسى اسكندر المعلوف	زحلة	٤٦ انتاس الكرملي	«
٢٨ احمد رضا	النبطية	٤٧ جميل صدي الزهاوي	«
٢٩ جرجي بني	طرابلس الشام	٤٨ عز الدين علم الدين	«
٣٠ سليمان احمد	اللاذقية	٤٩ كاظم الدجيلي	«
٣١ ادوارد مرقص	«	٥٠ معروف الرصافي	«
٣٢ محمد زين العابدين	انطاكية	٥١ احمد الاسكندري	القاهرة
٣٣ بدر الدين النعماني	حلب	٥٢ احمد تيمور	«
٣٤ جرجس شلحت	«	٥٣ احمد زكي	«
٣٥ جرجس منش	«	٥٤ احمد عيسى	«
٣٦ راغب الطباخ	«	٥٥ اسعد خليل دانس	«
٣٧ عبد الحميد الجابري	«	٥٦ رشيد رضا	«
٣٨ عبد الحميد الكيالي	«	٥٧ يعقوب صروف	«
٣٩ قسطنطي الحمصي	«	٥٨ زكي مغامر	الاستانة
٤٠ كامل النزي	«	٥٩ حسن حسني عبد الوهاب تونس	
٤١ ميخائيل الصقال	«	٦٠ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٤٢ اسعاف النشاببي	القدس	٦١ محمد اجل خان	الهند

محل الإقامة	« الأعضاء المراسلون »	
تونس	Marçais	٦٢ مارسيه
الجزائر	Massé	٦٣ ماسه
ازمير	Guy	٦٤ كي
طنجة	Michaux-Bellaire	٦٥ ميشو بلير
باريز	Huart	٦٦ هوار
=	Ferrand	٦٧ فران
=	Dussaud	٦٨ ديسو
=	Massignon	٦٩ ماسينيون
=	Bouvat	٧٠ بوفوا
ابطاليا	Guidi	٧١ جويدي
=	Nallino	٧٢ نالينو
اسبانيا	Asin	٧٣ آسين
البرتغال	Lopès	٧٤ لويس
سويسرا	Montet	٧٥ مونته
=	Hess	٧٦ هيس
هولانده	Snouck-Hurgronje	٧٧ سنوك هورغرن
=	Houtsma	٧٨ هوتسما
=	Arendonk	٧٩ اراندونك
انكلترا	Margoliouth	٨٠ مارجوليوث
=	Bevan	٨١ بفن
المانيا	Hommel	٨٢ هومل
=	Sachau	٨٣ ساخاو
=	Brockelmann	٨٤ بروكلمان
=	Horovitz	٨٥ هوروفيتز

محل الإقامة	« الاعضاء المراسلون »	
ألمانيا	Herzfeld	٨٦ هرزفيلد
«	Hartmann	٨٧ هارتمان
«	Mittwoch	٨٨ ميتفوخ
السويد	Zetterstéen	٨٩ سترستن
الدانمارك	Œustrup	٩٠ أوستروب
«	Buhl	٩١ بول
«	Pedersen	٩٢ بدرسن
النمسا	Mzik	٩٣ موجيك
المجر	Mahler	٩٤ ماهلر
بولونيا	Kowalski	٩٥ كوفالسكي
روسيا	Kratchkovsky	٩٦ كراچكوفسكي
تشيكوسلوفاكيا	Musil	٩٧ موزل
أميركا	Macdonald	٩٨ مكدونالد
فنلندا (١)	Karsikko	٩٩ كارسيكو



(١) والاعضاء الذين فقدهم المجمع هم المرحومون : الشيخ طاهر الجزائري في دمشق • والسيد نخله زريق في القدس • والسيد اغناطيوس غولدسبير في المجر • والسيد مرتين هارتمان في برلين • والسيد رينه باس في الجزائر • واحمد كمال باشا والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي في القاهرة • والسيد محمود شكري الالوسي في بغداد • والسيد غريفيثي والسيد رفيق العظم في القاهرة • والسيد حن بيهم في بيروت • والدكتور صالح قنباذ في حماة • والسيد مانجو في دمشق • والسيد براون في كبريج • أجزل الله ثوابهم •

آثار الشهباء والفيحاء (١)

« ومدرسة ضيفة خانون »

تنقسم مصانع الشام الى قسمين مدني وديني ، فالمدني القلاع والحصون والابراج والمناور والمراسد والقصور والجسور والسيور والافنية والمواني والطرق والقبور والمستشفيات ودور الزمنى والضيافة ، والديني المعابد والبيع والاديار والكنائس والجوامع والمساجد والمدارس والربط والخانقاعات والملاجئ وماشا كلها . والكلام على كل مادة من هذه المواد يحتاج الى محاضرة بل محاضرات ولذلك نقصر حديثنا الآن على المدارس ونقارن بين ما قام من نوعها في هذه المدينة الطيبة وبين ما في دمشق الفيحاء منها . انشأ العرب لما حكموا الشام مصانع كثيرة وكان بنو غسان يتبارون في البيع وزينها أقاموا منها كثيراً كما عمروا الاديار والصروح والقناطر ، وكذلك فعل النبط والنوحيون ، وكلهم عرب ايضاً . والغالب ان هندستهم كانت ابنة الهندسة الرومانية . واليونانية تختلف عنها قليلاً في بعض الرسوم والتفاصيل . ولما فتح العرب المسلمون هذا القطر لم يكن لهم هندسة خاصة .

وكان الأمويون اذا أرادوا إقامة بناء عظيم تقدم مملكة بيزنطية الصنائع والرسوم التي يراد النقل عنها ، فقد جمع الوايد لما أراد بناء الجامع الأموي لبنائه حذاق فارس والهند والمغرب والروم فجاء البناء من صنع بنائين مختلفين اجمل ما في الهند وفارس وآثينة ورومية من طرز البناء وأخذ ربع أعطيات اهل دمشق تسع سنين وكانوا خمسة واربعين الفاً ليستعين بها على عمارة الجامع وأنفق فيه خراج الشام سنين وفي رواية اربعمائة صندوق كل صندوق ثمانية وعشرون الف دينار وكان خراج الشام على عهد بني أمية الف الف دينار ومائتي الف دينار .

قال المقدمي : والجامع جامع دمشق أحسن شيء للمسلمين اليوم (في القرن الرابع) ولا يعلم لمال مجتمعه أكثر منه وأعجب شيء فيه تأليف الرخام الموزع كل شامة الى اختها ، (١) من محاضرة للسيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي ألقاها في المدرسة الفاروقية بحلب في ربيع ١٣٤١ هـ (١٩٢٣) م .

ولوان رجلاً من اهل الحكمة اختلف اليه سنة لأفاد كل يوم صنعة . وقال ايضاً : رأى الوليد الشام بلد النصارى ورأى لهم فيها بيعة حسنة قد أفتن زخارفها وانتشر ذكرها ، كالقمامة وبيعة لدن والرها ، فاتخذ للمسلمين مسجداً سيف دمشق شغلهم به عنهم وجعله احدى عجائب الدنيا ، او كما قال الخليفة المأمون بني على غير مثال شوهده .

قال الثعالبي : كان الأغلب على الوليد بن عبد الملك حب البناء واتخاذ المصانع واعتقاد الضياع وكان الناس في ايامه يخوضون في وءف الابنية ويحرقون على التشييد والتأسيس ويولعون بالضياع والعمارات . وقال آخر : كان الوليد عند اهل الشام محبوباً لانه صاحب عمارة وبناء ، عمر الضياع ووضع المنار في الطرقات واعطى المجذمين وافردهم وقال لا تسألوا الناس وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً .

فالعرب اذا أخذوا اولاً الهندسة عن الفرس والبيزنطيين وغيرهم من الامم التي كانت لها حضارة جميلة وجودوها وزادوا عليها . قال سينيوس : لم يكن للعرب كما للرومان صناعات وطنية خاصة بهم ، فكانوا اذا احتاجوا الى قصور او جوامع يعمرونها اولاً على الطرز الفارسي او البيزنطي مثل جامع دمشق ، ولكن مالبثت الصناعات الفارسية والبيزنطية ان اختلفت ونشأت منها صناعة جديدة هي الصناعة العربية وأجل هذه الصناعات الجوامع والقصور .

وليس لدينا من مصانع الأمويين في الشام غير هندسة الجامع الأموي وبعض محال من المسجد الأقصى على كثرة ما شادوا من الجوامع والقصور والحصون والمدن لان العباسيين لما استولوا على هذه الديار نقضوا آثار الأمويين كلها ولم يبقوا على غير جامع دمشق وجامع القدس ، قال الجاحظ من شأن الملوك ان يطعموا على آثار من قبلهم وان يمتوا ذكرا عدائهم فقد هدموا بذلك السبب المدن وأكثر الحصون كذلك كانوا ايام العجم وايام الجاهلية . وعلى ذلك هم في الاسلام كما هدم عثمان صومعة غمدان وكما هدم الآطام (الحصون) التي كانت بالمدينة وكما هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وكما هدم أصحابنا اي العباسيون بناء مدن الشامات (اي الشام) .

تجلت الهندسة العربية في هذه الديار في القرن الرابع فما بعده على الاغلب ونشأتها مهندسون سوريون عرب انتهت اليها بعض اسمائهم وبعض نموذجات من أبنيتهم ولا سيما

المدارس ولم تكن المدارس معروفة في هذه الديار قبل نور الدين محمود بن زنكي بقليل فإنه شاد منها جملة صالحة وهو أول من أسس دور الحديث والقرآن والفقه وأزل من بني دار العدل في دمشق لكشف الظلمات وبني الخوانق والربط وقدمشى على اثره - في هذا الطريق المحمود صلاح الدين يوسف بن ابوب وآل بيته أذكرا وما من عين من أعيانهم الا وله في دمشق وحلب وحماة والقدس وغزة وبعليك ومنبج والمعة مدارس أبقت الایام على بعضها نموذجاً من حسن الهندسة وارتقائها في تلك العصور ومثلاً ينم عن ارادة الخير والتدين الحقيقي .

ذكروا ان البلاد قبل نور الدين كانت خالية من العلم واعلمه فصار في ايامه مقرر العلماء والفقهاء والصوفية لصرف همته الى المدارس والربط وترتيب امورهم وقصده العلماء من خراسان وغيره وكان يكرم الصوفية والفقهاء والعلماء .

ولم تسعد هذه الديار بعد عهد قليل من خلفاء الامويين والعباسيين سعادة حقيقية مثل سعادتها على عهد الدولتين النورية والصلاحية فعظم مآزاه من المصانع هو من صنعهم وصنع أمراءهم بل خدامهم وعقائهم . ولما انتقضت الدولة الايوبية تراجع عمران هذه الديار تراجعاً محسوساً وعاشت قرنين وثلاثة بفضل تلك الحسنات وبقوة التسلسل المنبعثة من ذلك الفضل الشامل والعقل الكامل .

زرت بالامس في جملة مازرته من مدارس الشهباء القديمة مدرسة أخضرز بنائها بمجامع النفس وذكورها ماضياً باهراً لهذه الامة ، والماضي قد يفرح ويحزن . نفرح به اذا كان جليلاً وننقبض اذا ناظرت بينه وبين الحاضر ، خصوصاً اذا كان هذا ضئيلاً . رأيت ما يدعش من مدرسة الفردوس التي أنشأتها الملكة ضيفة خاتون بنت الملك العادل سيف الدين ابي بكر محمد بن ابوب وكانت جعلتها تربة ومدرسة ورباطاً وربت فيها خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية . وضيفة خاتون ولدتها امها في غير دار ابوها حيث كانت امها ضيفة فمماها ابوها ضيفة ، توفيت سنة ٦٤٠ هـ ودفنت بقلعة حلب وولدها مدفون بها ايضاً ، مات ابنها فتوات زمام الحكم في حلب وتصرفت فيها تصرف

السلاطين ست سنين فأبانت عن ذكاء وجودة رأي ، وإن النساء اذا تعلمن لا يصعب عليهن ان يبايعن مبلغ الرجال ، وقيل ان حدث في تاريخ هذه البلاد ان تولت امرأة امور الدولة وأحسنّت السياسة ، ولا نذكر الآن في مصر غير شجرة الدر المشهورة التي ساست المالك فأحسنّت سياسته في الجملة . راما ملكة حلب صاحبة هذا الاثر النفيس فكانت مثبنة في سياستها أثنى عليها معاصروها ، ويرجع الفضل في ذلك الى من كانوا المشاورين لها من فضلاء اهل حلب اذ ذاك ، ولا عجب فقد قامت في هذه المدينة غير مرة مشيخة من اهلها اي جمهورية في القرون الوسطى لاحوال انقضت ذلك من تحالف بين اهل السلطان اولموت ملكها او اميرها فكانت الامور تسير بالشورى على سداد . ومن ذلك ان دولة بني مرداس بجلب لما انقضت عادت رياستها شورى في مشيختها وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل وكانت ذلك سنة ٤٧٢ فأدار شؤونها الداخلية رجال منهم فأحسنوا السياسة وأمنت قواعد العدل واستقر الامن في نصابه .

قرأت في حائط مدرسة الفردوس هذا : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أنشأته ذات الستر الرفيع والحجاب المنيع عصمة الدنيا والدين ضيفة خاتون بنت السلطان الملك العادل والدة السلطان الملك العزيز بن الملك الظاهر في ايام مولانا السلطان الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن الملك العزيز محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب ناصر امير المؤمنين خلد الله ملكه) . وقد كتب على محرابها البديع (عمل حسان بن عفان) والغالب ان مهندس البناء شخص آخر عمره مثالا جميلا من عمل صنع الايدي وهو يشبه بعض المدارس الكبرى في عهد الدولة الايوبية في دمشق كالمدرسة العادلية التي جعلت اليوم دارالمجمع العلمي العربي وفيها متحفه وهي مثال الهندسة العربية بواجهتها ، بناها العادل ابوبكر بن أيوب هذا البناء المحكم الذي لا نظير له في بنيان المدارس كما في الروضتين . ومدرسة الفردوس على ما تحيفها من الخراب ، وما أدخل فيها وبجانبتها من البناء الذي عمور به البناء الاصلي البديع ، تحتاج لقليل من العناية حتى تعود الى ما كانت عليه تذكرنا بعهد الاجداد وفضلهم علينا ، بما خلفوه لنا ولم نحسن استعماله والاحفاظ به . وهي كما يعملون في باب المقام ، وهناك مدارس وربط وترب دفن فيها أعاضم علماء الامة من المحدثين والفقهاء والمؤرخين والادباء في بسيط من الارض اذا تعهد يصبح حديقة غناء

وبقرها مدفن آل الشحنة مؤرخي حلب وفقائها ، وهي الأسرة التي تسلسل فيها العلم عدة بطون كما تسلسل في القرن السادس والسابع العلم والقضاء في بيت بني العديم الحلبيين خمسة بطون ونعمت اليهود . قال ياقوت : ولاهل حلب عناية باصلاح أنفسهم وتثخير الاموال فقلما ترى من ناشئتها من لم ينقل أخلاق آبائه في ذلك ، فلذلك كان فيها يهونات قديمة معروفة بالنزوة بتوارثونها ويحافظون على قديمهم بخلاف سائر البلدان . قال هذا اوائل القرن السابع ولا يزال الى اليوم أثره ظاهرة ولو على ضعف .

بنيت اول مدرسة في حلب سنة ٥١٧ هـ وهي المدرسة الزجاجية أنشأها بدرالدولة سليمان بن عبد الجبار صاحب حلب ولما أراد بناءها لم يمكنه الحلبيون من ذلك اذ كان الغالب عليهم التشيع فكان جماعته يبنون في النهار والشيعة تنقض ما بنوه في الليل . وكان التشيع مستحكماً في الحلبيين ففضى عليه صلاح الدين وأمرته قضاءه عليه في مصر بقرض الدولة الفاطمية او العبيدية . وقد ذكر المؤرخون ان الدولة الفاطمية أهلكت نحو اربعة آلاف عالم من علماء المالكية مدة قرنين وقد اصاب الشام بالطبع ان صححت الرواية قسطها من هؤلاء المقتولين لشدهم في التسنن . قال ابن خلكان ان حلب كانت قبل ان يتصل ابن شداد بخدمة الملك الظاهر قليلة المدارس وليس بها من العلماء الا نفر يسير ، فأعنى بترتيب امورها وجمع الفقهاء بها وعمرت في ايامه المدارس الكثيرة . والزجاجية هذه تولت مشيختها ومشيخة العادلية فاطمة بنت قريمان المتوفاة سنة ٩٦٦ هـ انتهت اليها رئاسة اهل زمانها بحلب أخذت العلم عن زوجها وهي أشبه بعائشة الباعونية في هذا القرن ابضاً بدمشق التي زينت الشام بل جملة اهل الاسلام بعلمها وأدبها .

ومن مدارس حلب النورية والعصرونية والصاحبية والظاهرية المعروفة بالسلطانية والاسدية والشعبية والشرفية والرواحية والبدرية والزيدية والقوامية والشاذليونية أنشأها الامير جمال الدين شادبخت نائب نور الدين محمود بحلب وولي تدريبها كمال الدين بن العديم سنة ٦١٦ وكانت حلب يومئذ أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الرواسخ كما قال ابن شداد . وقد كانوا في القرن الذي قبله احصوا فقهاء دمشق فكانوا ستمائة فقيه ، وكان صلاح الدين رحمه الله يطلق لعلماء دولته في السنة ثلاثمائة الف دينار عدا الهبات والعطايا والاقطاعات .

ومن مدارس حلب المروية والبلدقية والقيصرية والحلاوية والانابكية والحدادية والجردكية والمقدمية والجالولية والطومانية والحسامية والخمروية والعثمانية والقليبية والفطيسية والمجدية والكتناوية والالجابية والكنيوشية او الكهنوشية والكاملية والشبكية والورمشية والسفاحية والدلاغارية والصهبية وهذه كانت وراء باب انطاكية مباشرة قامت على انقاض اقدم جامع في حلب بناء ابو عبيدة قال سوبرنهم الاثري ان النقوش الكثيرة والهندسة القديمة والكتابات الكوفية الموجودة في هذا الباب تجعله في الدرجة الاولى من المكانة ومنه يدرس التحول التام المجهول سره حتى الآن الذي تم على عهد نور الدين في أسلوب الهندسة وفي صور الكتابة والطرز السياسي في الكتابات .

ومن مدارس حلب الاسعدية ومدرسة النقيب والدقاقية والجمالية والعلمانية والسكالية العدمية والانابكية والسيفية . هذا ما كان فيها من مدارس الشافعية والحنفية وذلك عدا مدارس المالكية والحنابلة وهي قليلة وليس في تاريخ حلب ما يدل على انه كان فيها كما في دمشق دور للقرآن والحديث خاصة بل فيها دار القرآن الحبشية فقط . وذكر الرحالة ابن جبير في المئة السادسة انه كان يصل من الجانب الغربي من جامع حلب مدرسة للحنفية تناسب الجامع حسناً وانقاف صنعة ذبا في الحسن روضة تجاور أخرى . قال وهذه المدرسة من أحفل ما شاهدناه من المدارس بناء وغرابة صنعة ، وقال ان للبلدة سوى هذه المدرسة نجواً من اربع مدارس او خمس .

قال السابق ابو اليمن المعري

حلب معهد الصبا والتصاني فسقاها الوسمي ثم الولي
موطني بعمد وطني فكأنني لغرامي بحبها البحرني

الى ان قال في مدارسها

فلمديها كل الفنون وفيها ما اشتهاه الشرعي والفلسفي
غيراني اري الاطياب شررا وحليف الافلاس عنها قصي

وفي تقويم سنة ١٣٣٣ ات عدد مدارس الشهباء كان اثنين وثلاثين مدرسة وما نظن العامر منها الآن بعض الشيء يتجاوز العشرين مدرسة خربت في اوقات مختلفة ولا سيما في فترة تيمورلنك سنة ٨٠٣ ثم في القرون التالية بالفتن وتغير الدول

والحكّام وتوالي الزلازل وغفلة القائمين على أوقافها وعسى أن يعود إلى هذه الدور البديعة رونقها القديم بعناية إدارة الأوقاف التي تعني الآن بأحياء الآثار وتكثير مغل الوقف ، وإن هذه المدارس بل كبرياتها إذا رمت وعولجت بالإصلاح ونفذت إرادة وإقيها يصبح مجموعها أعظم جامعة إسلامية كما هو الشأن في جامعتي أكسفورد وكمبرج في بلاد الانكيز من أعظم جامعات المذهب الانجيلي وكانت من قبل مدارس من مثل هذه مفرقة بليت في عصور مختلفة فأصبحت الآن جامعات بإخربها وفيها يتخرج رجال الانكيز في العلوم المختلفة .

حلب اخت دمشق في جميع أدوار تاريخنا ، وهما متشابهتان من وجوه كثيرة في مراقبها ومدارسها وعمرانها ، والمدارس كانت في دمشق على حصة موفورة لأنها كانت عاصمة الدولتين النورية والصلاجية ، وقد كانت في القرن السادس على رواية ابن جبر أكثر مدن الأرض سكناً وكانت في القرن الثامن كما قال ابن تغري بردي أجمل مدينة في العالم بل أغنى مدينة ، أحرقت تيورلنك بعض مدارسها وجوامعها وغرّماها عشرة ملاين دينار وحمل معه المهندسين والبنائين والنقاشين في جملة من حمل من أرباب الصنائع إلى سمرقند كما فعل السلطان سليم العثماني في مصر لما فتحها في الربع الأول من القرن العاشر فحمل إلى القسطنطينية كل صاحب صنعة وعمل نافع وجردها من بدائعها وصناعاتها النفيسة .

كان في دمشق في القرن التاسع مئة حمام وحمام والف مسجد وجامع في المدينة والضاحية وقد ذكر النعماني في كتاب المدارس من المدارس أنه كان فيها سنة ٩٢٧ هـ — ٣٢٠ مدرسة للشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ودار قرآن وحديث ورباط وخانقاه ومستشفى وأربع مدارس للطب ومدرسة هندسة أنشأها نجم الدين البودي من أهل القرن السادس وكل مدرسة خزنة كتبها ومدرسوها في الفنون المختلفة وكانت الطبيعيات والرياضيات والفلك والأدب تدرس في حجرة من غير تكبر . دام هذا إلى القرن العاشر فأخذت بالانحطاط ولم يبق منها في أوائل هذا القرن سوى بضع مدارس تلحقها

بالعمرات من باب التجوز صبرت كما قال عبداللطيف البغدادي في الأهرام على عمر
الازمان بل على عمرها صبر الزمان فانك اذا تجررتها وجدت الأذهان الشريفة قد استعملت
فيها والعقول الصافية قد أفرغت عليها مجهودها ، والانفس المنيرة قد أفاضت عليها أشرف
ما عندها لها ، والملاكات الهندسية قد أخرجنها الى الفعل مثلاً هي غاية امكانها ، حتى
انها تكاد يتحدث عن قومها وتخبر بحالهم وتنطق عن علومهم واذهانهم وترجم عن
سيرهم واخبارهم .

صبرت هذه المدارس على نوائب الدهر لانها كإقلاع بضخامة بنيانها صرفت عليها
الاموال الطائلة اكثر مما تنصور بكثير .

لا جرم ان بلاد الشام كانت عامرة في القرنين السادس والسابع اكثر من كل قرن
على ما كان ناشباً من الحرب الطاحنة بين سكان البلاد والصليبيين . وكثير من آثار
العمران ظهرت اذذاك على غير مثال ، ولا غرو بعد هذا ان قال في دمشق ابو الفضل
ابن منقذ الكنتاني يوم كان لها القدح الممل في العاشر :

واذا مررت على المنازل معرضاً عنها قضى لك حسناتها ان تقبل
ان كنت لا تستطيع ان تمثل الفردوس فانظرها تكن ممثلة
واذا عنات الحظ اطلقه الفتي لم يلق الا الجنة او جدولا
او روضة او غيضة او قبة او بركة او ربوة او هيكل
او وادياً او نادياً او ملعباً او منذباً او مجدلاً او موئلاً
او شارعاً يزهو بربع قد غدا فيه الرخام مجزاً ومفصلاً

ولقد وصف شيخ الربوة من القرن الثامن حنب فقال انها كانت على عهد العباسيين
تضاهي بعظمتها بغداد والموصل وانه استولى عليها الخراب بأيدي النار وان اهلها
يتنافسون في الملابس والهيئات والمراكب والمنازل وقال غيره ان حلب بلد تليق بالخلافة .
ولقد برع مهندسو العرب في هذه الديار في علم عقود الابدنة وهي ما يتعرف منه
احوال اوضاع الابدنة وكيفية شق الانهار وتقوية القني وسد البشوق وتنضيد المساكن
ولم يبرعوا في كيفية ايجاد الآلات الثقيلة لنقل الثقل العظيم بالقوة البسيرة لما تمكنوا

من عمارة المدن والقلاع والمنازل والجوامع والمدارس هذا التمكن الذي تبهرنا بقاياه الضئيلة ولو كان مؤلفو التراجم يعنون باخبار المهندسين والفلكيين والرياضيين مثلاً عنايتهم بالنقاط اخبار الشعراء والمتأديين والمتزهدين لجاء لنا منهم سلسلة طويلة واعلمنا من اساليب تفننهم وعلومهم الشيء الكثير . ولم نطلع من هذا القبيل على اكثر من عشرة مهندسين مسلمين في قرون العمرات في حلب ودمشق وضاعت تراجم الاكثر ومنهم من ظفروا باسمائهم مزبورة على بعض المدارس في هذه الحاضرة وغيرها من مدن الشام .

ان الارتقاء الذي بلغه المهندسون في الاسلام عندنا يدهش كل مفكر وقديماً كان السوربون على عهد الفراعنة والحثيين يعتقدون ان بعض مدن ساحل الشام - بناها الارباب والآلهة ثم اصبحوا يعتقدون اذا رأوا بناءً عجيباً جعلوا يانيه انه من بناء سليمان او اضافوه الى الجن وقد قال البخترى في ايوان كسرى :

ليس يدري اصنع انس الجن سكنوه ام صنع جن لانس
وقال شيخنا ابو العلاء المهرى :

وقد كان ارباب الفصاحة كلما رأوا حسناً عدوه من صنعة الجن
اما نحن فنضيف كل بناء الى صانعه وهو مثلنا وبطولنا وحجمنا وعقلنا لكننا نرزق حظاً من العلم وشداً شيئاً من ادب النفس وانفق صاحبه على بنائه عن سعة فجاء مثال الحسن والابداع .

من تأمل مدارس ارباب الخير من المسلمين في الشهباء والفيحاء وقرأ ما كتب عليها بتأمل وزارها المرة بعد المرة على تغير في معالمها ، واتسوية طراً على محاسنها ، وفساد عراذلها والابناء والاحفاد اذا قيس الى مجد الاجداد ، وجعل نسبة بين عدد ما عمر منها وما بقي في البلدنين الشقيقتين ، يؤكد معنا ان الفساد استحوذ عليها في دمشق اكثر من حلب وان من تجردوا من الوجدان ناستحلوا استصفاً تلك المدارس كانوا في الفيحاء اكثر من امثالهم في الشهباء ، ولذلك كان عدد الباقي هنا اكثر واجود من حيث الكمية والكيفية من المدارس هناك .

ولا ينكر ان مادة البناء قد تختلف في بلد عن آخر وقد كان الاعتماد في تلك القرون على الحجر الصلد ، وفي دمشق عدة مقالع جميلة متنوعة منه كما في حلب ، ولم يكثر الآخر والطوب والخشب الا في القرون الحديثة ولذلك لم تحرب المدارس الدمشقية لعدم متانة في بنائها فان الامثلة الظاهرة منها الى اليوم لا تجعلها تختلف في شيء عن مدارس حلب ، ولكن القائمين على هذه المدارس في هذه المدينة كانوا يعتدلون في العبث بها ومتانة الاخلاق من جملة ما امتاز به الحلبيون لجودة هوائهم يضاف اليها حب الاحتفاظ بآثار الاجداد على صورة كانت ظاهرة في قرون الارفقاء ، كآمنة في عصور الشقاء والرجوع الى الوراء .

والناظر الى مدارس دمشق وحلب وهي لا نقل عن اربعائة مدرسة منها زهاء ثلاثمائة في دمشق يدرك انها من عمل السلاطين والعمال وقليل من التجار واهل الخير ، وكانت منهم من يتوخى منها ان تكون توليتها لبيته من بعده ليعيشوا منها اذا صودرت املاكهم . بنى قليل من التجار المدارس لان الشعب كان ينفي في اغلب العصور في كبرائه ، فلم يكن شان في مظاهر انعمه والغبطة مدة قرون لغير باب الدولة او من كان يعد في جملتهم ، وكان سائر الناس يحاذرون ان تشاء لهم شهرة في الثروة ، والثروة تيجل في الدار والفرش والدابة واللباس وبذل المال لاقامة دور العلم وايواء اليتامى والمحاويج فكانوا يتظاهرون بالنقر لينجوا من مخالب العمال ولا سيما في عهد المماليك فمن بعدهم . وكانت مصادرة اموال الناس اسهل شيء على الحكومات وقتل من يريدون استصفاء ارضهم وعقارهم وعروضهم من المباحات في نظرهم . ولذلك كان ذوالغنى كثيراً ما يدفن امواله في مكان مجهول من داره ودكانه . وربما خاف من زوجه وولده فكتم عنهم ما يملك ، وقد يموت وتبقى دفينته مجهولة حتى يجيء بعد دهر طويل من ينش الارض او الجدار ويعثر بالعرض على ما جمعه ذاك الغني المحروم .

وقل ان رأينا جماعة انفقوا على إقامة عمل من هذا القبيل يفخر به اللهم الا قليل من المساجد ، ولو فعلوا لامنت اعمال الجماعات من اعداء المعتدين اكثر من عمل الافراد ، ولما استصفيت واستحل هدمها او تعبير خططها ومعالمها من لا يخافون الله ولا عباده ، ولجاءت بمثابة للعظمة الحقيقية في الامة ، على نحو ما قامت البيع والادبار والمدارس في القرون

الوسطى بالغرب ، بارشاد رجال الدين من كرادلة واساقفة وقساوسة ، فكانوا يجمعون قليلاً من صدقات الملوك والاعنياء والفرسان والشعب ، فيجيء بمجموعها عظيمًا يدار بأيدي هيئة منظمة على كل حال ، ويخططون خطة لا يخرج عنها الخلف الا قليلاً . وقد بدأ المسلمون في هذا القطر بإنشاء مدارسهم في القرن السادس وانتهوا في القرن التاسع فجاء بعدهم من ينسبها واحدة تلو الاخرى فتداعت واكلوا اوقافها فأخرجوها عن الغاية الشريفة التي وضعت لها .

مدارس آيات خلت من تلاوة ونزل وحج مقفر العرصات
 أم عمروها في ثلاثة قرون فعجز المخربون عن تخريبها في أربعة ، ولولم تكن أكثرها من مال محال مشروع قصد بها وجه الله وجلب الخير المحض للامة ، ولولم تكن بلغت الغاية في إحكام الهندسة ومثانة العمارة ، ولولم يزيروا على الحجر في الاكثر ما وقفوه عليها من الاوقاف الكثيرة وبدونوه في سجلات مخددة بتعذر تبديلها ، لما طال عمرها كل هذه المدة وقد تعاورت عليها المصائب السماوية والارضية والمصائب الارضية أدهى وأمر .

فإذا كان هذا حظ المدارس والجوامع فما بالك بغيرها من المصانع . وكم ادر كننا وادرك آباؤنا واجدادنا في هذه الديار من أثر بديع سطت عليه يد خرقاء لنسل حجارته . وكم من كتابة تاريخية عني اثرها وقطعت ووضعت في اساس الميضات جهلاً وغباوة او عن قصد وعمد . ولطالما ذكرنا والمعاول تهدم في النماثر المدهشة في قطرنا المحبوب ما قاله القاضي ابو يعلى المعري وقد اجتمعت ببلدة شيبات ظاهراً معرفة النعمان والناس ينقضون بنيانها ليعمرها بها موضعاً آخر فقال :

مررت برسم في شيبات فراعني به زجل الاجمار تحت المعاول
 تناولها عبل الذراع كأنما رمى الدهر فيما بينهم حرب وائل
 التلّفها شلت يمينك خلعها لمعتير او زائر او مسائل
 منازل قوم حدثتنا حديثهم ولم ار احلي من حديث المنازل

للاثر القديم من الوقع في النفس ما ليس للاثر الحديث ، فإن الاول يذكر بامور

كثيرة . يذكر بمجد السلف واياديهم البيضاء واراقتهم الصحيحة ، يذكرنا بان فلاناً الذي تحترمه الامة بنى ذلك المصنع وتلك الدار ، وان فلاناً العالم درس هناك او كان يألف المكان الفلاني . وكم من أثر تار يخفي او مصنع من مصانعنا نمر به دون ان نحفل بما فيه من عبر ولو كنا على شيء من مدنية أجدادنا ، نأزهدنا هذا الزهد البشع في تراثهم ، ولو اقتبسنا المدنية الحديثة بحاسنها ومساوئها لرأينا أسرع الى النقسات آثار الحدود والاحتفاظ بها من الماء الى الحدور . لا تستطيع امة ان تقطع الصلة بينها وبين ماضيها خصوصاً اذا كانت ذات غابر عظيم كغابر الامة العربية قام على أساس متين ، وتقاليده جميلة ، ومقدسات متسلسلة ، اما ونحن لا نرقى بدون القديم والاخذ من نافع الحديث ، فواجب العقلاء ان يفكروا في أقرب الطرق الى بلوغ هذه الغاية وهذا لا يتم بغير احياء دور العلم ومعاهد الفضل ، واهياؤها مؤتمن على قليل من العناية .

ليس للمدرسة الحديثة التي ننشئها اليوم تلك النظارة ، ولا نتجلى فيها مآني الحسن والاحسان التي نشعر بها ونكاد نلصقها في المآخذ القديمة ، مثل مدرسة ضيفة خاتون رحمها الله فانك اذا رأيتها تمثلت أمامك صفحة من صفحات تاريخ هذه الامة المجيد . تمثلت بيت بني أيوب وأفضالهم على ربوع الشام ، وكفى بهم وبصلاح الدين من حسنة عقم الدهر انت يلد مثلها . كثير من المصانع بناها الملوك بأخوة وارهاق الرعية ، وإعنات الاسرى والمعتقلين ، ولم نقرأ في تاريخ ان احداً من آل البيت الصلاحى عمّر مدرسة او جامعاً او مستشفى او رباطاً من مال مشبوه ، او سخرة ممقوتة ، فأكرم وانعم بكل فرد أصيلاً كان في هذا البيت الشريف او دخيلاً عليه .

أيها السادة : ان بلاد الشام من عريشها الى فرائنها ومن جبال طوروس والدروب الى البادية مملوءة بآثار مختلفة وعاديات مدهشة بقيت من عهد الحثيين والكنعانيين والسرريين والرومان واليونان والعرب والفرس وغيرهم من الامم العظيمة ، منها ما هو تحت الارض ومنها ما هو فوق الارض ، اذا حافظ كل واحد منا على ما تطول اليه يده وعُنيته بالحكومة بالاشراف عليها إشرافاً حقيقياً ، كما فعلت مصر ونونس مثلاً ، يستفيد القطر الشامي بعد مدة زبادة على استفادته المعنوية من هذه العاديات استفادة مادية . تصبح بلادنا بلا شك متحفاً كبيراً يؤمه السياح لرؤية آثارها ومصانعها . وليست آثارنا عبارة

عن المشهور منها فقط أي البتراء او وادي موسي وجرش وبعليك وتدمر وغيرها . ان آثارنا مبعثرة في كل مدينة ، ماثلة في كل قرية ، اذا أحسنّا تعهدها وأصلحنا ماتداعى منها ، استفدنا منها فاستخدمناها فيما أنشئنا له وضممناها لشمسنا ، وحافظنا بها على مقدساتنا ، وكانت مجلبة الغريب الى ديارنا للربح . قال سوبرنيوم : ان عدداً عظيماً من مصانع حلب يرد الى زمن المالك والعثمانيين وماعدا الجوامع الكثيرة مثل جامع الاطروش والطون بغا والطواشي ومناراتها المختلفة الهندسة — وبفضلها تذكر حلب بصورة القاهرة في هذا المعنى — فان حلب قد اُحفظت بالمستشفى الجميل الذي بناه ارغون سنة ٧٥٥ وبكثير من المخازن والخانات والحمامات والدور والسبيلات وفي هذا المستشفى افاريز ونقوش من أجل ما نقش النقاشون تزيينه ففعله بحجة للناظرين ، ومدينة حلب غنية بمصانعها الجيدة الهندسة ومنها العسكري والديني والمدني وكلها مما زير عليها من الكتابات مادة واسعة لمن يريد ان يتصور اصول الهندسة لافي حلب فقط بل في شمالي سورية . وذكر الاثريون ان منارة جامع حلب من أفضل آثار الهندسة الإسلامية .

عمر أهل الخيرات من سلف هذه الامة هذا القدر العظيم الذي نعيجب به من معاهد التعليم الديني دع المساجد والجوامع ، ولو كتب البقاء لبعضها لاغنت القوم بمعارفها ونشرت النور بينهم . وكانت المدارس والجوامع في تلك القرون المظلمة في الغرب وهي مستنيرة في هذا الشرق والمتكفلة بتعليم الناس واخراجهم من الأمية ، وكان لمعظم المدارس والجوامع كتابات مرتبطة بها وخارجة عنها لتعليم الاطفال تؤهلهم لتلقي دروس المدارس والجوامع ، ولا نغالي اذا قلنا ان عدد الأميين كان في تلك العصور أقل مما هو الآن في هذه الديار ، ولو اطرد العمل اطراده في مدارس الغرب مثلاً لاصبحنا في هذا القرن والأميون أقل مما هم في بلاد المدينة الحديثة .

ولكن الجبل قضي على تلك المدارس واكل المتولون أوقافها فخربت وتغيرت معالمها . وكم من وقف اليوم يستمتع به النظار عليه ويصرفون ما وقف على الخير على شهواتهم بدون محاسب من ذمهم ولا رقيب من أصحاب السلطان ، لو كتب لهم ان يأكلوا منها بالمعروف ويصرفوا حقوق تلك المعاهد او بعض مغلها على رمتها واجراء الرزق على ساكنيها والدارسين فيها لأنت بثمرات جنية ، ولما اكوا في بطونهم النار

وركبوا مئين العار والشنار . وكم من بيت كان موسوماً في التقديم بالعلم والحق خلف من بعد السلف خلف عبثوا بالحرمات : استخفوا أموال المدارس والمعابد ، فدثر البيت وانقرضت الأميرة ، وذهبوا وما يملكون جملة ، لم يُرحموا لأنهم لم يرحموا . ضبطت الحكومة السابقة أكثر أوقاف الملوك والسلاطين وكان ريعها كثيراً جداً في هذه البلاد فلم تصرفها فيما خصصت له ، ولم تُنجح في الغاية التي نويختها منها ، واستغل بعض أرباب النفوذ بالأوقاف التي أوتمنوا عليها أو انتهت إليهم بحكم الوراثة فأساءوا الاستعمال إلا من عصم الله . فالسبب إذاً في خراب مدارسنا الجميلة سوء إدارة الحكومات السالفة وعبث المتولين عليها ، وإخراجها عما وضعت له من عمل الخير بصنع أولئك الذين يعدون انفسهم في جملة حماة هذا المجتمع وهم أعدى أعدائه .



أخبار الحمقى والمغفلين

لابي الفرج بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ زهاء مئة مصنف في القرآن والفقه والحديث والطب والتاريخ والسير والتراجم والجغرافية والوعظ والتصوف واللغة . ومن جملة تأليفه كتاب الأذكياء المطبوع وكتاب أخبار الحمقى والمغفلين المخطوط . ومن هذا السفر الأخير فيما نعلم ثلاث نسخ مخطوطة الأولى في خزانة كتب المدينة المنورة والثانية في باريز والثالثة في برلين وهذه النسخة الرابعة دخلت المجمع العلمي في جملة ما أهدي إليه من المخطوطات . ونسختنا هذه من قطع الربع وقعت في ١٠٤ ورفات جميلة الخط يغلب التحريف عليها ولم يعلم زمن نسخها والغالب أنه كان في القرن الحادي عشر بدليل أنه كتب على طرفها (صار في حيز المنقر لفضل فيض ربه . . عمر بن عبد الرحمن القاري في سنة ١١٢٧) وهي كاملة من الأول والآخر إلا أن الكاتب سها في الورقة الخامسة والخمسين فلم يكمل الكلام في صفحة القفا وانتقل إلى الورقة السادسة والخمسين ثم انتهت وكتب بخطه في الصفحة التي تركها بيضاء (البياض سهو) .

بدأ المؤلف كتابه بقوله بعد البسملة : « قال الشيخ الإمام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي محمد بن علي الجوزي الحمد لله الذي أعطى الأنام جزيلاً ، وقبل من الشكر قليلاً ، وفضلنا على كثير من خلق نفضيلاً ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لم يجعل له من جنسه عديلاً ، وعلى آله وصحبه بكرة وأصيلاً . وبعد فاني لما شرعت في جمع أخبار الأذكياء وذكرت بعض المنقول عنهم ليكون مثلاً يحتذى ، لأن أخبار الشجوان تعلم الشجاعة ، آثرت أن أجمع أخبار الحمقى والمغفلين لثلاثة أشياء ، الأول أن العاقل إذا سمع أخبارهم عرف قدر ما وهب له مما حرموه فحنته ذلك على الشكر إلى أن قال . والثاني أن ذكر المغفلين بحث المستيقظ على انقضاء أسباب الغفلة ، إذا كان داخلياً تحت الكسب ، وعامله فيه بالرياضة ، وأما إذا كانت الغفلة مجبولة في الطباع فإنها لا تكاد تقبل التغير . والثالث أن يروح الإنسان قلبه بالنظر في سير هؤلاء المخوسين حظوظهم يوم القسمة ، فإن النفس قد تملّ من الدؤب سيف

الجد ، وترتاح الى بعض المباح من اللهو ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لخنظلة ساعة وساعة ٠٠٠»

وأخذ في الفضل الاول بنقل عبارات لبعض الحكماء والصحابه في جواز الاحماض ،
نقلها على عادة المحدثين بالرواية المتسلسلة مما قد يورث الكلام بذلك شيئاً من التطويل
منها قول الخليفة الرابع ان هذه القلوب تملُّ كما تملُّ الأبدان فالتمسوا لها من الحكمة
طرفاً . وقال أسامة بن زيد : رَوَّحُوا القلوب تعي الذكر . وقال الحسن : ان هذه
القلوب تجي وتوت فاذا حبيت فاحملوها على المناقلة ، واذا ماتت فاحملوها على الفريضة .
وقال ابو الدرداء : اني لاسْتَجِم نفسي ببعض الباطل كراهية ان احمل عليها من الحق
ما بُدِّئ بها . وكان ابن عباس اذا جلس مع أصحابه حدثهم ساعة ثم قال : حمضونا
فيأخذ في أحاديث العرب ثم يعود يفعل ذلك مراراً . وكان رجل يقول لاصحابه :
هاتوا من أشعاركم هاتوا من حديثكم ، فان الاذن حجة والقلب حمض . وكان الزهري
يحدث ثم يقول : هاتوا من ظرفكم هاتوا من أشعاركم أفيضوا في بعض ما يخفى عليكم ،
وتأنس به طباعكم ، فان الاذن مجاجة والقلب ذو ثقلب .

قال المؤلف : وما زال العلماء والافاضل يعجبهم الملح ويهشون لها : لانها تجمُّ
النفس ، وتريح القلب من كد الفكر ، وقد كان شعبة يحدث فاذا رأى المرید النحوي
قال انه ابو زيد :

استجمحت دار نعم ما تسكننا والدار لو كلننا ذات اخبار

وقد روينا عن ابن عائشة احاديث ملاحاً في بعضها رَفَث ، وان رجلاً قال له :
يأتي من مثلك هذا فقال له : ويحك اما ترى أسانيدها ما احد من رويت عنه الا
هو افضل من جميع اهل زماننا ، ولكنكم ممن قبح باطنه فراأى ظاهره ، وان باطن
القوم فوق ظاهرهم . ووصف رجل من النساك عند عبيد الله بن عائشة فقالوا : هو
جدك فقال : لقد أضاق على نفسه المرعى ، وقصر لها طول النهي ، ولو فكها
من الانتقال من حال الى حال للنفس عنها ضيق العقدة ، وراجع الجد بنشاط وجده .
وروى قول الرشيد : النوادر تتخذ الاذهان ، ونفتق الآذان .

ثم قال : فقد بان من ذكرنا ان نفوس العلماء تسرح في منهاج المهبو الذي يكسبها نشاطاً للجد ، فكأنها من الجد لم تزل قال ابو فراس :

أرواح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
امزح فيه مزح اهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

وقد قسم كتابه اربعة وعشرين باباً وهذه تراجمها : الباب الاول في ذكر الحماقة ومعناها . الباب الثاني في بيان ان الحق غريزة . الباب الثالث في ذكر اختلاف الناس في الحق . الباب الرابع في ذكر اسماء الاحق . الباب الخامس في ذكر صفات الاحق . الباب السادس في التحذير من صحة الاحق . الباب السابع في ضرب العرب المثل بمن عرف حقه . الباب الثامن في ذكر اخبار من ضرب المثل بحقه ونغفيله . الباب التاسع في ذكر جماعة من العقلاء صدر عنهم فعل الحق . الباب العاشر في ذكر المغفلين من القراء . الباب الحادي عشر في المغفلين من رواة الحديث وتصحيحه . الباب الثاني عشر في ذكر المغفلين من القضاة . الباب الثالث عشر في ذكر المغفلين من الامراء والولاة . الباب الرابع عشر في ذكر المغفلين من الكتاب والسجاب . الباب الخامس عشر في المغفلين من المؤذنين . الباب السادس عشر في المغفلين من الائمة . الباب السابع عشر في المغفلين من الأعراب . الباب الثامن عشر في من قصد الفصاحة والاعراب من المغفلين . الباب التاسع عشر في من قال شعراً من المغفلين . الباب العشرون في المغفلين من القصاص . الباب الحادي والعشرون في المغفلين المتزهدين . الباب الثاني والعشرون في ذكر المغفلين من المعلمين . الباب الثالث والعشرون في المغفلين من الحساكة . الباب الرابع والعشرون في المغفلين على الاطلاق .

وقد أورد في اكثر الابواب مثلاً ونوادير تتعلق بالباب وناسبه ترويح الروح ، وتفحك العيوس ، وكلهم مجمعون على ان داء الحماقة متعذر علاجه وانه غريزة . قال ابو يوسف القاضي : ثلاث صدق باثنين ولا تصدق بواحدة ان قيل لك ان رجلاً كان معك فتواري خلف حائط فمات فصدق ، وان قيل لك ان رجلاً فقيراً خرج الى بلد فاستفاد مالاً فصدق ، وان قيل لك ان أحمق خرج الى بلد فاستفاد عقلاً

فلا تصدق . قال الازواعي : بلغني انه قيل لعيسى بن مريم عليه السلام يا روح الله انك تحيي الموتى قال : نعم باذن الله قيل وتبري الاكمه قال : نعم باذن الله قيل فما دواء الحق قال : هذا الذي أعيساني . وقال جعفر بن محمد : الادب عند الاحق كلاما في اصول الحنظل كلما ازداد ريبا زاد مرارة .

ومما رواه في صفات الاحق ما قاله بعض الحكماء : الحق مهاد الحية فمن طالت لحيته كثر حقه . ورأى بعض الناس رجلا لحيته طويلة فقال : والله لو خرجت هذه من نهر لبس . وقال الاحنف بن قيس : اذا رأيت الرجل عظيم الهامة طويل الحية فاحكموا عليه بالرفاعة ولو كان أمية بن عبد شمس . وقال معاوية لرجل عتب عليه : كفانا في الشهادة عليك في حماقتك ، وسخافة عقلك ، ما نراه من طول لحيتك . وقال عبد الملك بن مروان : من طالت لحيته فهو كوسج في عقله ، وقال غيره : من قصرت قامته ، وصغرت هامته ، وطالت لحيته ، فحقيقا على المسلمين ان يعزوه في عقله . وقال زياد بن ابيه : ما زادت حية رجل على قبضة الا كان ما زاد فيها نقصا من عقله . قال بعض الشعراء :

اذا عرضت للفقى لحيته	وطالت فصارت الى سرته
فنقصان عقل الفقى عندنا	بمقدار ما زاد في لحيته
وانشدوا : انق الاحق ان تصحبه	انما الاحق كالثوب الخلق
كلما رقت منه جانباً	خرقته الريح وهنا فانخرق
او كصدع في زجاج فاحش	هل ترى صدع زجاج يرثق
كحمار السوء ان افضيته	رمح الناس وان جاع نهق
او غلام السوء ان اشبعته	سرق الناس وان يشبع فسق
واذا عاتبته كي يزعوبه	أفسد المجلس منه بالخرق

وذكر المؤلف اسماء كثير من الحكماء والمغفلين ، ومما قاله : ان جحى (الذي يقول بعضهم انه « نصري خووجه » دفين آقشهر في الاناضول وليس به بالنظر لبعد عصرهما) وجحى كان عربيا في بلاد العرب قال : ان جحى يكنى ابو الفصن وقد روي عنه ما يدل على فطنة وذكاء ، الا ان الغالب عليه النعفل ، وقد قيل ان بعض

من كان بعبادية وضع له حكايات . والله أعلم . قال سمعت بكر بن محمد الصوفي يقول : سمعت عبد الصمد بن الفضل البلخي يقول : سمعت مكي بن ابراهيم يقول : رأيت جحى رجلاً كبساً ظريفاً ، وهذا الذي يقال عنه مكذوب عليه ، وكان له جيران مخنثون يمازحهم ويمازحونه فوضعوا عليه . أخبرنا صهيب بن عباد قال حدثنا ابو بكر الكبي قال : خرجت من البصرة فلما قدمت الكوفة اذا انا بشيخ جالس في الشمس فقلت : يا شيخ منزل الحكم فقال لي وراك ، فرجعت الى خلفي فقال يا سبحان الله اقول لك وراك وترجع الى خلفك .

وذكر له بعض قصص منها ما هو شائع في نوادر جحى على ما نذكر وقال : وجمهور ما يروي عن جحى لتغليل نذكره كما سمعناه ، وما رواه له ان المهدي أحضر جحى ليمزح معه فدعا بالنطع والسيف فلما أقعد في النطع قال للسياف : انظر لاتصب محاجبي فاني قد احتجمت . وقال له رجل : اتحسن الحساب باصابعك قال نعم : قال خذ جربين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقال له : خذ جربين شعير فعقد السبابة والابهام وأقام الوسطى فقال الرجل : لم آفت الوسطى قال : لئلا يختلط الحنطة بالشعير . ومنهم « مزبد » قيل له ان فلاناً الحفار قد مات فقال ابعد الله من حفر حفرة سوء وقع فيها . وقال مزبد لرجل : أبسر لك ان تعطى الف درهم وتسقط من فوق البيت قال : لا ، قال : مزبد وددت انها لي وأسقط من فوق الثريا . فقال له الرجل : وبلك فاذا سقطت مت ، قال : وما يدريك لعلي سقطت في التبانين او على فرش زبدة .

ومنهم « أزهر الحمار » قدم على الامير عمرو رسول من عند السلطان فأحضر مائدته فقال لازهر جملنا بسكوتك اليوم فسكت طويلاً ثم لم يصبر ففسال : بنيت في القرية برجاً ارتفاعه الف خطوة فأوماً اليه حاجبه ان اسكت ، فقال له الرسول : في عرض كم قال : في عرض خطوة . فقال له الرسول : ما كان ارتفاعه الف خطوة لا يكفي عرضه خطوة . قال : أردت ان أزيد فيه فتنعني هذا الواقف . وقدام رسول آخر فقيل لازهر : لا نكلم اليوم فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد اذهر ان يشتمه فيقول : يرحمك الله فقال صبحك الله فقال الامير : أليس قد تقدمت اليك ان

لا تثكم فقال : أردت ان لا يرجع الرسول الى بغداد فيقول : ان هؤلاء لا يعرفون العربية .

ومنهم « ابو محمد جامع الصيدلاني » مضى الى السوق ليشتري لابنه نعلًا فقيل له : كم سنه . فقال : لا أدري ولكنه ولد اول ما جاء العنب الداراني . ومحمد ابني استودعه الله اكبر منه بشهرين ونصف سنة . وكانت له ابنة فقيل له : كم سنهها فقال : ما أدري الا انها ولدت ايام البراغيث .

ومنهم « ابو عبد بن الحصاص » دخل يوماً على ابن الفرات الوزير الخافاني وفي يده بطيخة كافر فأراد ان يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمي بالبطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الحصاص وتحير وقال : والله العظيم لقد أخطأت وغلطت أردت ان ابصق في وجهك وارمي بالبطيخة في دجلة فقال له الوزير : كذلك فعلت يا جاهل . فغلط في الاعتذار وأخطأ في الفعل . ونظر في المرأة فقال : اللهم بهض وجوهنا يوم تبض وجوه وسودها يوم تسود وجوه . وكسر يوماً لوزاً فطاررت لوزة فقال : لا اله الا الله كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم . وكان ابن الحصاص يسبح كل يوم فيقول : نعوذ بالله من نعمه وننوب اليه من احسانه ونستقبله من عافيته ونسأله عوائق الامور حسبي الله وأنبأؤه والملائكة الكرام اللهم أدخلنا من دعائه في بركة القصور على قبورهم والبيع والثغور والكنائس سبحان الله قبل الله سبحانه الله بعد الله . وذكر محمد بن احمد الترمذي قال : كنت عند الزجاج اعزبه بامه وعنده الخلق من الرؤساء والكتتاب اذ أقبل ابن الحصاص فدخل ضاحكاً وهو يقول : الحمد لله قد سرفني والله يا ابا اسحق ، فدهش الزجاج ومن حضر ، وقيل له : يا هذا كيف سرك ما غمه وغمنا فقال : ويحك بلغني انه هو الذي مات فلما صح عندي انها هي التي ماتت سرفني فضحك الناس جميعاً . وكتب ابن الحصاص الى وكيل له يحمل اليه مائة منقاً قطناً فلما حلجها خرج منها ربع الوزن فكتب الى الوكيل لم يحصل من هذا القطن الا خمسة وعشرون منقاً فلا تزرع بعد هذا الا قطناً محلوفاً وشيناً من الصوف ايضاً .

ولكن ابن الحصاص كان يعتمد البلاهة وليست به ، وكان من كبار الاغنياء

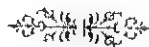
وارباب النعمة ، حدث المؤلف عن محمد بن عبد الباقي عن علي بن ابي علي الننوخى عن ابيه قال : اجتمعت ببغداد سنة ست وخمسين وثلاثمائة مع ابي علي بن ابي عبد الله ابن الخصاص فرأيت شيئا حسنا طيب المحاضرة فسألته عن الحكايات التي تنسب الى ابيه مثل قوله خلف الامام حين قرأ ولا الضالين فقال : إي لعمرى بدلاً عن آمين ومثل قوله : اراء ان يقبل رأس الوزير فقال : أفيه دهن فقال : لو كان سيفي رأس الوزير خ . لقلبه ومثل قوله : وقد وصف مصنفًا بالعتق فقال : كسروي فقال : اما لعمرى ، ونحو هذا فكذب ، وما كان فيه سلامة يخرج به الى هذا ، وما كان الا من ادعى الناس ، ولكنه مطلق يحضره الوزراء قريباً ؟ وما يحكى عنه سلامة طبع كان فيه ولانه كان يحب تصوير نفسه عندهم بصورة الأبله ليأمنه الوزراء لكثرة خلواته بالخلفاء ، فيسلم عليهم وأنا أحدثك عنه حديثاً حدثنا به تعلم معه انه كان في غابة العزم فانه حدثني قال : ان ابا الحسن بن الفرات لما ولي قسدي قصداً قبيحاً فأنفذ العمال الى ضياعي وامر بقبض معاملاتي وبسط لسانه بشلي ولتقصني في مجلسه فدخلت عليه يوماً داره فسمعت حاجبه يقول : وقد وآيت : اي يلبت مال يمشي على وجه الارض ليس من يأخذه فقلت : ان هذا من كلام صاحبه وافي مسلوب ، وكان عندي في ذلك الوقت سبعة آلاف الف دينار وجوهر ، سوى ما يحتوي عليه ملكي . فسهرت ليلاني أفكر في امري معه ، فوقع لي الرأي في الثلث الاخير فركبت الى داره سيفي الخال فوجدت الابواب مغلقة فطرقته فقال : البوابون من هذا فقلت : أبى الخصاص فقالوا : ليس هذا وقت وصول الوزير نائم فقلت : عرفوا الحجاب افي حضرت في مهم فعرفوهم فخرج الي احداهم فقال : انه الى الساعة ينتبه فيجلس فقلت : الامر اعم من ذلك فأنبه وعرفه عني هذا ، فدخل وأبطأ ساعة ثم خرج وادخلني الى دار حتى انتهيت الى مرقدته وهو جالس على سرير له وحواليه نحو خمسين فراشاً وغلان كأنهم حفظة وهو مرتاع ، قد ظن ان حادثة حدثت وافي جئته برسالة الخليفة وهو متوقع لما اورده فرفعني وقال : ما الذي جاء بك في هذا الوقت ، هل حدثت حادثة او معك من الخليفة رسالة قلت : خير ما حدثت حادثة ولا معي رسالة ولا جئت الا في امر يخصني ويخص الوزير ولم تصلح مفاوضته فيه الا على خلوة فسكن

وقال : لمن حوله انصرفوا فمضوا وقال : هات قلت : ايها الوزير انك قصدتني اقبج قصد ، وشرعت في هلاكي ، وازالة نعمتي ، وخروج نفسي ، وليس عن النفس عوض ، ولعمري اني اسأت في خدمتك وقد كان في هذا التقويم بلاغ وجلّ عندي وقد اجتهدت في اصلاحك بكل ما اقدر عليه وايت الاقامة عليّ ، اذا وليس شيء اضعف في الدنيا من السنور ، واذا عويبت في دكان البقال وظفر صاحبها بها ولزها الى زاوية ليخفيها ، وثبت عليه فخدشت وجهه وبدنه ، ومزقت ثيابه ، وطلبت الحياة بكل ما يمكنها ، وقد وجدت نفسي معك في هذه الصورة ، ولست اضعف من السنور بطشاً ، وقد جعلت هذا الكلام عنراً بيننا فان نزلت تحت حكي في الصلح والا عليّ وعليّ . وحلفت ايماناً مغلظة لافسدن الخليفة الساعة ولا حولان اليه من جوانبي الف دينار عيناً وورقاً ولا اصبح الا وهي عنده وانت تعلم قدرتي عليها واقول : خذ هذا المال وسلم الي الفوات الى فلان واستوزره واذكر له اقرب من يقع في نفسي انه يجب الى ثقليده ممن له وجه مقبول ، ولسان عذب ، وحظ حسن ، ولا اعتمد الا على بعض كتابك فانه لا يفرق بينك وبينهم اذا رأى المال حاضراً ، فيسلك في الحال ويراني المقلد بعين من اخذه وهو صغير ، فجعله وزير وغرم عليه لهذا المال الكثير فيجدمني ويتدبر برأيي وأسلمك اليه ويفرخ عليك العذاب حتى يأخذ الالف الف دينار منك باسرها ، وان تعلم ان حالك في بهذا ، ولكنتك تفقر بعدها ويرجع المال اليّ ، ولا يذهب مني شيء ولا كون قداهلكت عدوي ، وشفيت غيظي ، واسترجعت مالي ، وصفت نعمتي ، وزاد محبي ، بصري في وزيراً ، وبثقليدي وزيراً . فلما سمع هذا الكلام سقط في يده وقال : يا عدو الله اوتسحل هذا قلت : لست عدو الله بل عدو الله من استحل مني هذا الذي اخرجني الى الفكر في مثل هذا ، ولم لا استحل مكروه من اراد هلاكي ، وزوال نعمتي ، فقال : او ايش ، فقلت : وتحلف الساعة بما استحلكتك به من الايمان المغلظة انك تكون لي لا عليّ في صغير امري وكبيره ولا انقص لي رسماً ولا تغير لي معاملة ، ولا تفسد عليّ الكاره ، ولا تشر لي في سوء ابدأ ظاهراً ولا باطناً فقال : وتحلف انت ايضاً لي بمثل هذا اليمين ، على جميل النية ، وحسن الطاعة والمواظرة ، فقلت : افعل فقال : لعنك الله ما انت الا ابليس

والله لقد سحرتني واستدعيت دواة وعملنا نسخة بين فأحلفنا^٢ أولاً بها ثم حلفت له ، فلما اردت القيام قال : يا ابا عبد الله لقد عظمت في نفسي ، وخففت ثقلًا عني ، والله ما كان المقنن يفرق بين كفائي ، وبين أخس كتابي ، مع المال الحاضر ، فليكن ما حضر مطوبًا فقلت : سبحان الله فقال اذا كان غداً فصر الى المجلس لتر ما أعاملك به ، فنهضت فقال يا غلان بأسركم بين يدي ابي عبد الله فخرج بين يدي نحو مائتي غلام وعدت الى داري ولما طلع الفجر واسترحت وجئته في المجلس فعرفني الذين كانوا يحضرته ما جرى من التفريط التام ، وعاملني بما شاهدته الحاضرون وامر بانشاء الكتب الى عمال النواحي باعزازي واعزاز وكلائي وعمالي ، وصيانة اسبابي وضياعي ، فشكرت الله وقت فقال : يا غلان بين يديه فخرج الحجاب مجردون سيوفهم بين يدي ، والناس يعجبون : ولم يعلم احد سبب ذلك ، فما حدثت بذلك الا بعد القبض عليه . قال لي ابو علي هل هذا فعل من يحكى عنه تلك الحكايات قلت : لا . وقد حكى النخعي ان ابن الحصاص صودر في ايام المقنن فارفعت مصادره سوى ما بقي له من الظاهر وكانت ستم آلاف دينار^٣ .

هذه جمل جميلة من اخبار الحمقى والمغفلين وانت ترى ان منهم من كانوا يتماقون او يتباهون لنكتة او خشية نكبة وأخبارهم مهمة لان منها ما يفيد في وصف الحالة الاجتماعية والادبية في عصرهم وسنعود في ظريد هذه الحلقة الى افئطاف شيء من اخبارهم انمصد منها حكمة وقد نفع الحكمة للابله والاحمق كما نفع للمجنون وقديماً ألف في عقلاء المجانين الحسن بن حبيب النيسابوري وابن ابي الدنيا وابن لقمان وسهل بن علي البغدادي (راجع م ٢ من مجلة المقتبس ص ٣٦) فان ألف ابو الفرج بن الجوزي كتاب الحمقى والمغفلين فقد ألف كتاب الاذكياء وذلك حتى لا تضيع اخبار الناس على اختلاف طبقاتهم ويكون من كتبهم عظات بالغات واحماض مستطاع .

محمد كرد علي



تصحيح نهاية الارب

(نهاية الارب في فنون الادب) — لشهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري
من أنفس كتب الادب العربي . وأغزرها مادة . وأجزلها عائدة . وهو لعمري
جدير بان يسمى (دائرة معارف الآداب العربية) لانه اخذ بنواصيها . وأحاط
بنواحيها . وتبع مسائلها الى أقاصيها . وكان كل من عرف بخبر هذا الكتاب من عشاق
الكتب العربية القديمة تمني لو يكشف عن معدنه . ويستخرج من مكانه . حتى قبض
الله له (إدارة مطبعة الكتب المصرية) فتوفرت على العناية بطبعه ونشره فاستحقت
بصنيعها الشكر والأجر .

ولقد طبعت منه الى اليوم خمسة اجزاء . فجاءت متينة الورق . حسنة الحرف .
مبسوطة بالشكل في كثير من كتاباتها .

أنيحي مطالعة الاجزاء الاربعة من هذا الكتاب وقدمرتي في الجزء الاول منها بعض
اغلاط فكنت أبادر الى تصليحها على هامش نسخي ثم انتهت الى ان شأن هذا الكتاب ليس
كشأن كتب الادب الأخرى . التي ينثرها المطابع نثرا . بل ان له منزلة خاصة تستدعي
العناية بتصحيحه . وإمالة الرغوة عن صريحه . فرأيت ان اخدم قراءه . ومن افنى نسخة منه
وهم كثيرون — بتتبع اغلاطه . وان اجمعها على حدة مرتبة بحسب الصفحات والاسطر ثم اعمل
على نشرها في مجلة المجمع . وهكذا تمت الجزء الاول والثاني . واحصيت ما فطنت له من
اغلاطها فكانت نحو الستين في كلا الجزئين . والذي يظهر ان معظم الاغلاط ثابت في
اصل النسخة المخطوطة فلم ينسب المصحح اليه . وبعضها مما يسمى (غلطا مطبعيا) . وليس هذا
بالامر المهم في جنب كثرة الصواب والنسج فإن وجود ثلاثين هفوة في نحو (٤٠٠) صفحة
مما لا يمكن التحرز منه . ولا يلام مصحح الكتاب على الذهول عنه .

اما الجزآن الثالث والرابع فان الحال فيها قد اختلف عن الجزئين الاولين كل الاختلاف
اذ كانت آثار الالهال بادية في معظم صفحاتها حتى تجاوزت في الجزء الثالث نحو (١٥٠) وفي
الرابع نحو (٨٠) ولم أطالع الجزء الخامس بعد لأرى منزلته بالنسبة الى اخوته .
وها انا اذا انشر في هذا الجزء من المجلة اغلاط الجزء الاول ثم انشر في الاجزاء التالية

اغلاط الاجزاء الاخرى . وهناك جمل وعبارات غامضة المعنى وقع في خلدي ان فيها تحريفاً
او تحجيماً لكنني لم اهتم الى وجه الصواب فيها فأهملتُ التعرض لها في تصحيحها في هذه .
بيد اني جمعت أو أشرت الى طائفة منها على ظهر نسختي مستأنفاً فيها أخص من الفضلاء بعيني
نلي كشف غمها . وحل معاهها . فأكون له من الشاكرين .

جاء في ص ٢٧ س ٩ (والمياه و امداها) صوابه وأعدادها جمع (عدد)
بالكسر وهو الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع . هذا هو الصواب والانتكرار مع ما بعده
ومثله في ص ٢١٢ س ١٣ (كثير الأمداد والشلوج) صوابه الأعداد .
وفي ص ٣٤ س ٦ (شمال و مرزم) قال مصتح الكتاب المرزم (وضبطه ككرم)
الثابت القائم على الارض اهـ . وصوابه مرزم كبير اسم لنوء بارد فالشاعر يقول ان ازرار
اثواب تلك الظلمة انواع الرياح : ما بين شمال و مرزم .
وفي ص ٤٦ سطر ١٩ (صرت صقليا) صوابه صقليا اي سابل (زنجيا) قبله
ويكون فيه اشارة الى قول ابن سينا في مقصورته :
(في الزنج حر غير الأجساد) حتى كسا جلودها سوادا)
(والصقلب اكتسبت البياضا) حتى غدت جلودها بضاضا)
وفي ص ٨٠ سطر ٧ (ايدي الجباب والصبا) صوابه الجنائب جمع جنوب وهي
ريح تقابل ريح الشمال ويكون معها الخير والنفقيح .
وفي ص ٩٢ س ١١ (اقلب محب) صوابه (محب) مضارع وجب القلب
خفق ورجف . فهو يشبهه برق السحابة بالقلب الخافق لا المحب الوامق .
وفي ص ١٣٥ سطر ٦

(ليل كما شاءت فان لم تزر طال وان زارت فليل قصير)

صوابه (ليلي كما شاءت فليلي قصير) انما يصف الشاعر ليله لا اي ليل
كان . وكذا البيت الذي بعده س ٩ (ليلي لا ليل) .
وفي ص ١٥١ س ٢ (ان يوم الشر لا كان عتيدا) صوابه عتيدي بالرفع خبر . و (لا
كان) جملة معترضة دعائية . فالشاعر يقول اذا سمع يوم يصلح للهو لا تضيعه لأن

يوم الشر حاضر بالمرصاد . ثم دعا عليه ان لا يكون . على أن نصب (عتيد) ان جاز فعلی استكراه وتكلف .

وفي ١٧٥ س ٣ (واجتثرت راحله) صوابه (واحتثت) بالحاء المهملة من حث الدابة ساقها بعنف . ولا معنى للاجثثات هنا .

وفي ص ١٧٨ س ١٧ (مدخور انكسب) صوابه (مذخور) بالدال المعجمة من ذخر خبأه لوقت الحاجة اما (دخر) بالدال المهملة فلازم ومعناه ذل . وذال (دخر) قد قلب دالاً مهملة . ولكن هذا في باب الافتعال فيقال (مدخر) لا في الثلاثي .

وفي ص ٢٠٢ س ١ (فهي بؤر) ضبطها المصحح بفتح الباء و صوابه بضمها فانها هي الارض التي لم تهتأ للزراعة اما (بؤر) بفتح الباء فهو مصدر بارت الارض بوراً لم تزرع حتى أصبحت بؤراً .

وفي ص ٢٢١ قال المؤلف ان من اسماء الجبال (الارعن) وقال المصحح انه من تحريف النساخ و صوابه (الرعن) وهو أنف الجبل المتقدم او الجبل الطويل . وما قاله المصحح غير صحيح لان الارعن هو الجبل ذو الرعان اي الانوف المتقدمة . قال في الأساس (جبل أرعن ذو رعان طوال) . وفي ص ٢٢٧ قول ابن خفاجة الاندلسي :

(وأرعن طاح الذوابة بأذخ يطاول اعناق السماء بغارب)

وفي ص ٢٢٨ س ٢ (تمنطق بالجوزاء ليلاً ، له خصر) هكذا بالعلامة (٤) بعد قوله (ليلاً) وهذا يوم ان (له خصر) مبتدأ وخبر . وليس كذلك بل ان قوله (خصر) فاعل تمنطق و (له) صفة له فالصواب حذف هذه العلامة (٤) .

وفي ص ٢٣٤ و ٢٣٩ و ٢٤٩ و ردت كلمة (أظمة) مراد آياها بركان النار وجمعها على (أطام) والصواب (أظمية) : بيان ذلك ان الاظمة كلمة الحصن . ومثله الأظم كهُنق وجمعها أطام . واما أظمية كسفيئة فهي موقد النار واتوب الحمام ايضاً . وتجمع أظمية هذه على أطايم قال الافوه الاودي :

(في موطنٍ ذرب الشبا فكأنما فيه الرجال على الأطايم والظي)

فما في نهاية العرب والمسعودي (جزء ١ ص ١٧٦) من أسمية بركان النار (أظمة) علي وزن أكمة وجمعها على أطام كما كأم — خطأ والصواب (أظمية) وجمعها (أطايم)

اذلا معنى لتسمية بركان النار باسم الحصن . وانما المناسب ان يسمى باسم الموقد والاثوث
بجامع التوقد والتلطي والرمي بالشرر في كل منهما . وهذا ما كان يريد كـتاب العرب
الاقدمون مذ سمو البركان (اطمية) حتى جاء نساخ كتبهم فحرفوا قولهم .

وفي ص ٢٥٣ س ١ — مدينة انلو (كثيرة المقات والنخل) هكذا بالناء وصوابه (النفاثي)
بالمثلثة جمع مقثاة وهي الارض تزرع قثاء .

وفي ص ٢٥٧ س ١٥ في صفة سفن البحر (جامحات بلاغرام جماح) صوابه (عرام)
وهو الشدة والحدة والشراسة اي ان اشتداد جماعها لم يكن عن قصد منها وإرادة لانها جماد
لا شعور فيه . وهو المناسب لقوله قبله (ساكنات بلا خضوع سكون) اي انها اذا سكنت
لم يكن ذلك منها عن ارادة واختيار .

وفي ص ٢٥٨ س ١٢ يصف الكاتب شانيا وهو ضرب من السفن فقال (حذراً على
الواحه من الانخاع) صوابه الانخلاع اي الاتزاع والتفكك من مواضعها .

وفي ص ٢٥٩ س ٨ يصف الكاتب البحر فيقول (وراحة الريح تصاغ عبايه مصالحة
الخلل . ونطوي جناحه طي السجل) صوابه (وتطوى حبابه) والحباب معظم الماء اوسطحه
بما يعلوه من النفاخات واليعاليل . ومثله قول طرفة بن العبد في معلقاته (يشق حباب الماء
حيزومهاها) ولا معنى لكون راحة الريح تطوي جناح البحر كما لا يخفى . ثم قال (ونجول من
لججه ابراداً . ونصوغ من حبكه ازراداً) وصوابه تحوك بالكاف وهو ظاهر .

وفي ص ٢٨٢ س ١٨

(كبساط وشي جردت ايدي القيان عليه نصلا)

يصف روضاً . والصواب القيون مكان القيان لان القيان جمع قينة وليس من شأنها
تجر يد النصل وهو السيف . وانما هو من شأن (القين) وهو الحداد وجمعه قيون .

وفي ص ٢٨٣ س ٥

(وترى الرياح اذا مسن غديره وصفينه ونقين كل قذاة)

صوابه (صفينه) مزدون واوجواب (اذا) وهو بتشديد الفاء من النصفية والمعنى ان
الرياح تصنّي ماء الغدير اي تجعله صافياً . وكذلك (نقين) صوابه (نقين) بالفاء

الموحدة اي انت الرياح نني وتطرد القذى عن وجه الغدير ولا معنى لها بالقاف
لانه لم يرد نقاء ثلاثياً بمعنى نقاء المشدد .

وفي ص ٢٨٣ سطر ١١

(والنهر مكسو غلالة فضة فاذا جرى سيل فتوب نزار)

جعل النهر من فضة حتى اذا جرى السيل احمر مائه فلبس ثوب نزار . وهذا مفروض
في ان السيل يحمل طيناً و تراباً احمر فياوتن ماء النهر . وليس هذا مما يقوله فحول الشعراء .
وانما البيت محرف وصوابه (فاذا جرت أصل فتوب نزار) والأصل جمع اصيل وهذا
على حد قول ابن خفاجة .

(والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على الجبن الماء)

وفي ص ٣٠٤ سطر ١٩ (وأطعه « اي البيت الحرام » بعظمتي . واحوزه بحر ماتي)
وقد فسّر (انطعه) في هاش الاصل بانه من النطع وهو بساط من جرد قال المصحح وفي
بعض النسخ وانطفه بالفاء اهـ اقول وكلاهما خطأ . وصوابه (أنطقه) بالقاف المثناة
وتسديد الطاء من نطقه جعل له نطقاً . والمعنى انه تعالى جعل لبيته المكرم نطقاً من عظمته
اي انه حاطه بعظمته فكان عظيماً جليلاً في الامم والشعوب . وكذلك قوله (وأحوزه)
بالحاء المهملة خطأ وصوابه (أعوزه) بالعين المهملة والواو المشددة والذال المعجمة اي انه
تعالى جعله حرماً آمناً فكان ذلك بمثابة عودته لتيهه وتحميه .

وفي صفحة ٣٤٧ سطر ١٠ — جاء في الآثار في صفة ارض مصر (ارض حافظة مطبقة

رحيمة) صوابه (خاضعة مطيعة) فان وصفها بالخضوع والطاعة مناسب لوصفها بالرحمة .

وفي صفحة ٣٦٣ سطر ٧ يصف المأمون (تراب النقل) وهو الطين الذي يتنقل

به اي يؤكل ويسمى في بلاد حلب (بيلون) وفي دمشق الترابة الحلبية :

(ذاك الذي يُحسب في مثله أحجار كافور عليها عبر)

صوابه يحسب في شكله .

وفي صفحة ٣٦٧ سطر ١٧ (وَتَبَّتْ من بلاد الترك خاصية) كذا ثم ذكر تلك

الخاصية التي لتلك البلاد اقول وصوابه (ولتبت من بلاد الترك خاصية الخ) برفع

(خاصية) وتبت بلاد مشهورة هي تعتبر اليوم قسماً من بلاد الصين لكنهما في الحقيقة من

بلاد الترك لان سكانها من اصل مغولي . وهي مشددة الباء عند جغرافي العرب اما جغرافيو
الافرنج فيخففونها .

وفي صفحة ٣٦٩ سطر ٨ سرد المؤلف خصائص البلاد وذكر منها (بجادي بلخ)
وصوابه (بخاتي بلخ) وهي ضرب من النياق اشتهرت بها بلاد بلخ . والمصحح نفسه أشار
الى هذا في ذيل الصفحة ٣٦٤ .

وفي صفحة ٣٧٣ سطر ١ — ضرب جبريل برج بابل (بخافقة جناحه) صوابه بخافية
جناحه اي احدى خوافي جناحه . وهي الريشات الصغيرة تخفى حينما يطوي الطائر جناحه
وتكون تحت القوادم . ولو كان المراد (بالخافقة) من الخلق لقال (بخافق جناحه) لان
الجناح مذكور .

وفي صفحة ٣٧٦ سطر ١٣ في صفة سد يا جوج وما جوج (وفوقه شُرُافات حديد
في طرف كل شُرُافة قرنان الخ) هكذا بتشديد الراء وزيادة الف بعدها وهو خطأ
وصوابه (شُرُفة) على وزن غرفة وجمعها (شُرُفات) كغرفات . اما (شُرُافة)
بالضم والتشديد فمن كلام العوام .

وفي صفحة ٣٨٥ سطر ١٢ الخطأ هنا من مصنف الكتاب نفسه رحمه الله فانه تكلم على
حصن السمؤال المشهور المسمى (الأبلق الفرد) وقال انه يضرب به المثل وفيه يقول الشاعر :
(طلب الأبلق العقوق فلما لم ينله فرام بهض الأتوق)

ولعل صواب هذا البيت ايضاً (أراد بهض الأتوق) مكان (فرام) لأن الفاء
لا تقع في جواب (لما) . و (الأبلق العقوق) هو الفحل الذي يحمل اي يلتقم . وهذا بالطبع
غير موجود فهو كبهض الأتوق يضرب بهما المثل في الندرة أو عدم الوجود . ولا معنى
للمثل به هنا كما لا يخفى . وكان المصنف ذهل فتمثل بهذا البيت وهو يريد بيت السمؤال
في قصيدته المشهورة .

(هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره بعز على من رامه ويطول)

وفي صفحة ٤٠٤ سطر ٥

(نصبت له في الارض بيت حديقة تمد لها سيفه الجو كفاً ومعصما)

الضمير في (له) يرجع الى الحصن الذي يصف هدمه بالخنيق ثم وصف الخنيق

وسماه (بيت حديقة) لكنه أعاد الضمائر على (بيت الحديقة) مؤنثة مذ قال (تمد لها) ثم قال (لها أخوات للنابيا كوامن الخ) ولا معنى لأن يكون لها (اي لبيت الحديقة) أخوات فالكمة محرفة ولعل الصواب (بيت الحديقة) والحديقة البستان . ولانعرف لماذا كنى عن المنجنيق بيت الحديقة وربما كان في الكلام تحريف آخر .

وفي صفحة ٤١٦ سطر ٤ .

(يثير ضباباً بالبخار مجدلاً بدور زجاج في سماء قباب)

يصف الحمام . والتجديد صفر الشعر وان تلقى آخر على الجدالة وهي الارض . ولا معنى لجعل هذا من صفة البخار . وانما الصواب (مجدلاً) على صيغة امم الفاعل و (بدور زجاج) مفعوله . والمعنى ان البخار لما تصاعد جلل وغشى الزجاجات التي تراءى في سماء قبة الحمام كأنها بدوير .

هذا ما انتبهنا اليه من اغلاط هذا الجزء وقد يكون هناك أخوات لها لم ننسب اليها . لكنها قليلة في غالب الظن . وسننشر في الجزء الثاني من هذه المجلة الاغلاط التي وقعنا عليها في الجزء الثاني من (نهاية الأرب) .

المفرد

مطبوعات حديثة

كتاب الدرة الفاخرة

« في كشف علوم الآخرة »

للامام الغزالي طبع في ليبسيك (المانيا) سنة ١٩٢٥ في (١١٠) صفحات
 كان هذا الكتاب طبع في (جنيف) سنة ١٨٧٨ م ثم في السنة الماضية اي سنة ١٩٢٥
 أعاد طبعه في ليبسيك المستشرق الفاضل الاستاذ (لوسيان غوتيه) بعد ان قابله على
 عدة نسخ في مكاتب ليبسيك وبرلين وباريس واكسفورد . وقد ألحق به ترجمته
 باللغة الافرنسية في نحو (٩٠) صفحة وعلق عليه هوامش وشروحا مسبهة توضح اختلافات
 النسخ . وبالجملة فان ناشر الكتاب لم يأل جهداً في تحرير هذه النسخة وتقريب الفائدة
 منها . فجزاه الله عن هذه الخدمة الشريفة خيراً . ولا بد هنا من ذكر كلمة قد تكشف
 شيئاً من الريبة والاشكال ذلك ان من دأب علماء الاسلام التدقيق في نقل الاحاديث
 التي تتعلق بالحدود والقصاصات والانكحة وغير ذلك من ضروب المعاملات المدنية
 وينبغي عليه حكم الحاكم أما ما ليس كذلك من الآثار مما فيه حض العامة على فعل
 الخير والارتداع عن الشر فانهم يتساهلون في النقل والرواية غاية التساهل . وهكذا
 كان شأن الامام الغزالي في كتابه هذا . وشأن ابن قيم الجوزية في كتابه (حادي
 الأرواح الى دار الأفراح) فلا يتعجب من متعجب من مثل هذين التحريرين المدققين
 النقادين كيف روبا في كتابيهما المذكورين طائفة من الاحاديث والآثار
 الضعيفة !! ذلك لما قلناه من توخيهم حمل العامة والدعاة على الفضائل وردعهم عن
 الرذائل بأية طريقة كانت .

« المغربي »

عم متولي

« وقصص أخرى »

محمود بك تيمور نجل العلامة احمد باشا من شبان مصر العاملين بنشاط في الاصلاح
 الاجتماعي ، وقد اختار لنفسه من طرق هذا الاصلاح طريقة كانت من اكبر عوامل

التهديب في نهضة أوربا الحديثة وهي الطريقة القصصية أي بث المواضيع الاجتماعية أو العلم الاجتماعي بين الجمهور من طريق القصص وابتكار الروايات، وهناك فرع من هذا الفن أو ناشطة من هذا الطريق سلكها المؤلف وهي القصص القصار التي تلزم مطالعتها جمهور القراء على نمط القصص التي عني بها الكاتب الأفرنسي (موباسان) واشتهر بها إيمان اشتهار . وقد أصدر الفاضل الموماليه في العام الماضي الحلقة الأولى من سلسلة هذه القصص القصار ودعاها (الشيخ جمعة وقصص أخرى) فصادت رواجاً بين القراء وكأنا في موقع في نفوس الكتاب والمتأدبين فقرظوها وأثنوا على مؤلفها أحسن ثناء وقد عاد اليوم فأصدر الحلقة الثانية من تلك القصص ودعاها (عم متولي وقصص أخرى) وهي تبلغ (٢٢٢) صفحة مفتحة برسم (العم متولي) وبمقدمة من فم المؤلف ومختمة بأقوال الكتاب وأرباب المجالات والصحف وهي تشهد للمؤلف بحسن الابتكار والإجادة في هذا الموضوع الذي فرغ له . ويظهر لنا أن حادثة هذا الفن صادفت حادثة من سن هذا الفن النبيل فأنلنا وتحابا وسبكون من هاتين الحداثتين الغضبتين دوحة عظمت ينفيان أبناء لغة الضاد ظلها الوارف ويحنون ثمرها الناضج .

اعلام المقنطف

« أصدرته مطبعة المقنطف والمقطم بمصر في (٣٢٠) صفحة »

المراد باعلام المقنطف العلماء الاعلام الذين وردت ترجماتهم في مجلدات المقنطف السابقة من الذين اشتغلوا بالعلم والفلسفة أو كان لهم شأن في ترقيتهم . وهذا الجزء هو القسم الأول من أجزاء عدة ستظهر على التوالي والمضمن بقية التراجم ممن لم يذكر اسمه في هذا الجزء . ومن تصفح هذا الجزء ووزن الفائدة التي تنال من دراسته وعلم أن هذا الجزء إنما هو بعض من كل — أدرك ما للمقنطف ومجلداته الخمسين — من الأثر البين في نهضتنا العلمية والفكرية .

نفضت مجلدات المقنطف فأنثر منها هذا الجزء في بعض التراجم فما ظنك لو نفضت هذه المجلدات المرة بعد المرة فكم من مصنف جليل في المواضيع المختلفة ينثر من خلال صفحاتها . وتضاعف أبحاثها ؟؟ حقاً إن مجلدات المقنطف دائرة معارف كبرى

لنافس مكتبتها العربية بها سائر مكاتب العالم المتمدن . وقد افتتحت تلك التراجم بترجمة خمسة من فلاسفة اليونان ثم تلاها ترجمة ثمانين من علماء العالم المتمدن يتخللهم سبعة من علماء الشرق : هم شفيق بك منصور وعلي باشا مبارك وسالم باشا سالم واحمد كمال باشا من المصر بين . والاستاذ بطرس البستاني والدكتور روثبات والدكتور شمائل من السور بين ومعظم أصحاب التراجم نشرت صورهم في جانبهم . فكان الكتاب سفرأ نفيساً يحرص عليه اللبيب ، ولا ينبغي ان تخلو منه مكتبة أدب .

له

كتاب الادب لابن المعتز

ابن المعتز هذا هو عبد الله بن المعتز الخليفة وواضع فن البديع وكتابه هذا ليس هو في فن الأدب الاصطلاحي اي أدب الدرس . وانما هو في أدب النفس وتهذيب الاخلاق فهو مجموعة مواظ و حكم اقنطف اكثرها من كلام المتقدمين وفيها نواذر من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . قال ابن المعتز في مقدمة هذا الكتاب : «وقد ألفته سنة ٢٧٤ واول من نسخه مني علي بن هرون النخعي» . وفصول الكتاب في الوعظ بعضها قصار وبعضها طوال ، وقد ظفر بنسخة من هذا الكتاب المستشرق الروسي الكبير الاستاذ (كراجكوفسكي) أحد اعضاء مجمعنا العلمي فنشره في كراس وجعله ملحقاً بمجلة (العالم الشرقي) وحرر المناظره غب مقابلتها على نسخ مختلفة وقدم له مقدمة باللغة الافرنسية استغرقت ست عشرة صفحة حقق فيها من امر هذا الكتاب ما يهم الاطلاع عليه كل كاتب أدب . والكتاب لطيف الحجم لا يتجاوز صفحانه خمسين صفحة ملئت أدباً وحكماً وأخلاقاً عالية . وقد طبع في (ابالالا) احدي حواضر اسوج . ولما كان كثير من هذه الحكم غير مشهور بين الادباء والكتاب أحببنا ان نفتبس منها الى مجلة الجمع ما فيه فائدة :

اليام جسر الشر . انما أهل الدنيا كصُور في صحيفة كلما نشر بعضها طوي بعضها . لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه عليه مشبعة . ما أدري ايما أمر : موت الغني او حياة الفقير ؟ . كما لا يُنبت المطر الكثير الصخر كذلك لا ينفع البليد التعليم . العالم يعرف الجادل لانه قد كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن

علماً . لا تسرع الى ارفع موضع في المجلس : فالموضع الذي ترفع اليه خير من الموضع الذي تحط منه . الموت كسهم مرسل اليك وعمرك بقدر سيره نحوك . لم يكتسب مالا من لا يصلحه . كثرة مال الميت يعزّي ورثته عنه . الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت بها . علم الانسان ولدّه الخلد . لا تقطع أذاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه ولا تتبعه بعد القطيعة وقبعة (طعناً) فيه فتسد طريقه عن الرجوع اليك ولعل التجارب أن ترده اليك وتصلح لك . من أحسّ بضعف حيلته عن الاكتساب بخل . الميت يقلّ الحسد له ويكثر الكذب عليه . كأن الحاسد خلق ليغتناظ . طلاق الدنيا مهر الآخرة . التواضع سلم الشرف . يستحق الانسان من حسن خلقه . يكاد السيّء الخلق يعدّ من السباع . لما عرف أهل النقص حالم عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم كبرهم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاسل . لا فرق بين جاهل يتلمذ وبهيمة نقاد . خير الاختلاف ما اجنب معه العادي في الباطل وامتدى فيه بالصبر الى الحق . من ترك العقوبة أغرى بالذنب . اذا ترعرع الولد تزعر الوالد . الاستخياء بعبد الممال والبخلاء بعبدونه . الحكمة شجرة : تثبت في القلب وتثمر في اللسان . الشرير لا يظن بالناس خيراً لانه يراهم بعين طبعه . العتاب حياة المودة . كما ان جلاء السيف أهون من صنعه كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . مامات من أحياء علماً . من عدّد نعمه تحقّق كرمه . من ينشئ العمر فليدّرعه صبراً على فقد أحبابه . من يعمّر يلق في نفسه ما يمتناه لاعدائه . له

الذكرى

اسم لمجموعة شعرية بليغة للضمن نشائد نظمها شاعر العرش الانكليزي (الفرد نسون) تذكراً لحياة صديقه (ارثر هلم) وقد كانت وفاة هذا الشاعر سنة (١٨٩٢) م وأول ديوان نشره من شعره سنة ١٨٣٠ كما ان آخر ديوان نشره هو ديوانه (الذكرى) هذا فقد نشره سنة (١٨٥٠) . اما صديقه الذي جعل هذا التذكار باسمه فهو شاب من أترابه عرّفه في جامعة (كمبريدج) واستحكمت بينهما عرى الالفه والصداقة وقد أحب الشاعر ان تبقى ذكراها خالدة فأحيها بنشر هذا الديوان من شعره الخالد

الذي قال فيه (سندمان) « ان في شعر (نيسون) ما يمثل لنا أرقى معاني الفن الجميل » . وقد عمد الى هذا الديوان أديب كبير من أدياء العرب في سورية وهو السيد أنيس الخوري استاذ الآداب العربية في جامعة بيروت الاميركية فنقله الى لغتنا العربية شعراً وقد قدم له مقدمات في التعريف بناظم الديوان . ومنزلته بين الشعراء الاوربيين ثم (الذكري) ما هي وكيف نظمت ، ثم كلمة في المقارنة بين الشعر الحديث والشعر القديم . ثم سرد النشائد دوراً فدوراً حتى بلغت (١٣١) نشيداً . وكل نشيد او دور يتألف من بضعة مقاطيع وقفاً جاوز الدور العشرة منها . وقد افتتح كل دور بحمل تضمن وصف العواطف التي ثارت في نفس الشاعر فحملته على نظم النشيد والغني به . فن كل ما تقدم يتضح للقاري الاديب مبلغ جمال هذه الاناشيد وفائدتها للحبي الادب والشعر لا سيما المولعين بالمقارنة بين الادب العربي والادب الافرنجي . والكتاب مطبوع طبعاً منقناً في المطبعة الاميركية في بيروت . فنشكر المترجم البارع ، ونستميل أنظار أبناء العربية الى هذا الأثر النفيس . له

هدية كتب للمجمع

أهدى الى مكتبة المجمع العلمي السيد عيسى الباسي الحلبي الكتيبي الشهير بمصر كتباً اربعة مما طبع في مطبعته (مطبعة دار احياء الكتب العربية) :

(١) كتاب (نوير الخوالك شرح على موطأ مالك) ولا يخفى ان الموطأ وشروحه طبعت مراراً ولكن هذا الشرح للسيوطي لم يطبع حتى انبرى له السيد عيسى الموما اليه فطبعه على طريقة حديثة : ذلك انه وضع المتن في اعلا الصفحات مفصلاً عن الشرح بمجدول والمثن مضبوط بالشكل الكامل على ورق صقيل وحرف حسن . ولاجل زيادة الفائدة ألحق به كتاب (اسعاف المبطأ برجال الموطأ) للعلامة السيوطي نفسه . ولا غرو ان يقبل علماء الاسلام لا سيما المتخصصين في علم الحديث منهم على اقتناء هذا الكتاب . وهو يتألف من ثلاثة أجزاء مجموع صفحاتها ٨٣٥ صفحة بالقطع المتوسط .

(٢) الجزء الاول من (معراج البهان) اختيار وتصنيف الاستاذ الفاضل الشيخ

(علام سلامه) احد مدرسي (دار العلوم) بمصر . وقد قال في مقدمته (اصطفيت لشدة الطلاب وعشاق الادب نخبة صافية من اجود الكلام المأثور من بين منظوم ومنثور غير منقيد بعصر من العصور) . فالكتاب كتاب مطالعة لطلاب المدارس يستظهِرون منه فنقوى ملكاتهم في اللغة العربية وآدابها ، فنلفت اليه انظار الاساتذة والمعلمين .

(٣) (عقود الفرائد في علم العقائد) تأليف العلامة الشيخ محمد بن علي بن حسين المالك المكي والكتاب في فن العقائد الاسلامية المسنى بلم الكلام ايضاً . ويظهر ان المؤلف متوطن في بلاد الجاه . فقد قال في آخر كتابه انه تم في (ذي الحجة عام ١٣٤٣) وكل تحريره في سومطره (وهو بلغ مئة صفحة على ورق نباتي وله فهرس مطول .

(٤) (فتح المنكرين) هو كتاب ديني ايضاً ألفه الشيخ (عثمان بن شهاب الدين) ويظهر انه من علماء جاوه ايضاً لان الكتاب مكتوب بلغة غير عربية ولعلها الجاوية . وربما كان الكتاب شرحاً لرسالة السيد زيني دحلان المشهور . وهذه الكتب الاربعة كلها طبعت في مطبعة السيد البابي فنشكر له هديته .

هدية لطيفة

امدى المسيو جان مليا Mélia للمجمع العلمي اربعة كتب من تأليفه باللغة الافرنسية وهي المدينة البيضاء ، الجزائر وعمالتها (La Ville Blanche Alger et son département) وبول ديشانيل (Paul Deschanel) ولاغوات او الدور المحاطة بجدران (Laghouat ou les maison entourées de) ومام سانت جنيفيف (Madame Sainte Geneviève) والمؤلف من الكتاب الذين عُنوا بالاشتغال في الشؤون الاسلامية كثيراً ولا سيما حالة مسلي افريقية فنشكره باسم المجمع على هديته .

كلمة في اللغة العربية

للاستاذ إسعاف النشاشيبي عضو مجمعنا العلمي — بالنسبة الى اللغة العربية — مزايا اربع تحققت فيه . واشتهر بها : فهو راسخ القدم في آدابها . حريص على الاشادة بذكرها . شديد السخط على من يناوئها . متوفر على خدمة من يخدمها — مزايا اربع لم نعهد ما اجتمعت في احد من اناسي هذا الزمان اللهم الا رجلاً لا نعرفه . ان هذه المزايا هي الدين الذي انقطع الاستاذ اسعاف لمارسه . انقطاع الناسك لعبادته . والراهب في صومعته . وهي التي جعلته بلقب بحق (اديب فلسطين الكبير) وكما استأثر السيد اسعاف بهذه المزايا الاربع نفرداً ايضاً بامرٍ خامسٍ ناظرٍ الى اللغة العربية ايضاً . ذلك استفراده بأسلوبٍ في الانشاء العربي عُرف به كما عُرف الجاحظ بطريقته بين المنشئين المتقدمين . وكما عُرف احمد فارس بنمطه في الكتاب المتأخرين . وكذلك شأناً أدبنا إسعاف في المعاصرين .

اذا عرض عليك عدة قطع من منشور الكلام لكتّاب مختلفين قد يصعب عليك أن تميز بينها . وتزود كل قطعة الى صاحبها . اما اذا كان بينها قطعة من انشاء الاستاذ اسعاف فانك من اول وهلة تميزها حالها . وتنسم روحه من خلالها .
يمتاز ما يكتبه الاستاذ اسعاف بما تضمه من الكلمات والتعابير اللغوية المختارة التي اصبحت بالنسبة الى كثير من أدباء زماننا كأنها من « غريب اللغة » . هذا من جهة المفردات . أما من جهة السبك والتركيب فان الاستاذ اسعاف يسلك من ابواب « الفصل والوصل » و « الایجاز » و « الاطناب » و « الاعتراض » و « الاستطراد » و « الغلو » و « التحويل » و « المنعجم » طرائق خاصة لم نعتد سماعها في كتابة غيره من بلغاء الكتاب . ولذلك كان فاري كتاباته مضطراً ان يبق على انتباه ويقظة لما يمر تحت نظره . والا أضع السياق . ثم أعجزه اللحاق .

وأقرب الشواهد على ما قلنا من مزايا الاستاذ اسعاف التي منها فانيه في لغته العربية — كتابه الذي نشره حديثاً وأسماء (كلمة في اللغة العربية) البالغ مئة صفحة . وكان الذي بعثه على وضع هذا الكتاب انه زار القساهرة في السنة الماضية فاحنى به فضلاؤها

أَيَّما احتفاء . وكلفتهم (جمعية الرابطة الشرقية) ان يلقى في دارها محاضرة . فألقى تلك الكلمة في مزايا اللغة . ووجوب التعصب لها . لنهي الامة بجهالتها . وقد جمعت كلمته هذه من بلاغة القول . ونصاعة البيان . والذهن في أساليب الافصاح عن مناقب اللغة العربية — ما حمل كبار الكتاب والصحافيين في مصر على تقريبها والنشوي بصاحبها .

ولما عاد الاستاذ الى وطنه (القدس) اعاد نظره في تلك الكلمة فأضاف اليها (جزءاً آخر) على نمطها وأسلوبها . ثم علّق على الجميع في ذيل الصفحات شروحاً وهوامش غاية في الإمتاع والفائدة . كما ألحق في آخرها طائفة مما قاله الكتاب والفضلاء فيها .

وان الناظر في تلك الكلمة أصبح لا يدري ايّ الامرين اجزل نفعاً . واحسن شكلاً ووضعاً . ان تلك الكلمة البليغة نفسها بما أودعته من افانين القول . ام ما علّق عليها من الشروح ذات الفائدة والطول ؟

وقد احسن الاستاذ صنفاً في طبعها على عينه في مطابع القدس : فانه بذلك جود ضبطها وتصحيحها . كما جود ورقها وحرفها وترتيبها . فكانت بذلك كله طرفة من طرف الأدب . وعقدًا ثميناً في حيدرة العرب .

وانا لارجو للاستاذ صاحب هذه الكلمة ان يتبعها من فيض علمه بكلمات . فانه « سباق غايات . وصاحب آيات » .

« المغربي »

نشر رسالة مخطوطة

في إصلاح أغلاط كلام الناس

كنت أرى بين مخطوطات مكتبة رسالة لطيفة الحجم اسمها (النبية على غلط العوام والنبية) وهي تشتمل على إصلاح نحو مئة وخمسين غلطة مما نزل به ألسنة الناس في عصر المؤلف . ولم يذكر على الرسالة اسم مؤلفها . ولا في أي عصر كتبت . وكانت — عدا قبح خطها — كثيرة التصحيف والتخريف . وهذا ما أثبط عزيمتي عن نشرها في مجلة الجمع . مع أن موضوعها من أخص أبحاثه . ثم وقع لي أخيراً نسخة من هذه الرسالة لدى بعض باعة الكتب في دمشق حسنة الخط . لكنها أيضاً كثيرة الغلط والتخريف . وقد كتبت في آخرها أن مؤلفها هو ابن كمال باشا العالم التركي المشهور (المتوفى سنة ٩٤٠ هـ) . عندها تجددت الرغبة في تصحيح نسختي على هذه النسخة ونشرها في مجلة الجمع . فاجتمعت أولاً في تحقيق أمر الرسالة . ونقصت خبرها . والكشف عن غرض سرها . فوجدت أن اسمها الحقيقي (النبية على غلط الجاهل والنبية) لا (غلط العوام والنبية) كما هو في نسختي ولا (غلطات العوام) و (أغلاط العوام) و (سقطات العوام) كما سماها بعضهم .

أما (غلطات العوام) فإنها اسم رسالة أخرى جمعها (المولى مصطفى بن محمد المعروف بخمرو زاده المتوفى سنة ٩٩٨ هـ) كما في كشف الظنون . وفي بعض نسخ رسالة ابن كمال باشا أن اسمها (النبية على غلط الخامل والنبية) وقد صوّب هذه التسمية صديقنا الأستاذ تيمور باشا قال : لأن الخامل يقابل النبية . ويظهر أنه لما شاع بين العلماء خبر هذه الرسالة في إصلاح الأغلاط لابن كمال باشا جعلوا يطلقون عليها اختصاراً اسم (غلطات أو أغلاط أو سقطات العوام) يريدون أن هذا هو موضوع الرسالة لا اسمها الحقيقي .

هذا من جهة اسم الرسالة أما مؤلفها فهو على الراجح (ابن كمال باشا) المذكور . وإنما قلنا (على الراجح) ولم نقل على القطع واليقين : لأن كثيراً من نسخها لم يذكر فيه اسم مؤلفها قط حتى أن صاحب كشف الظنون أغفل ذكره : فهو إما أنه لم يعرفه أو أنه

تردد بين ان يكون ابن كمال باشا او يكون الشيخ البركوي العالم التركي المشهور ايضاً والمتوفي سنة (١٩٨١هـ) او غيرهما . ومن ثم أهمل صاحب كشف الظنون ذكر المؤلف . وقد راجعت عن هذه الرسالة فهرست مكتبة برلين الخاص بالمخطوطات العربية وهو عشرة مجلدات ضخام موجودة في مكتبة المجمع فوجدته يكرر ذكر هذه الرسالة في غير ما موضع منه . ويظهر ان في مكتبة برلين نحو ثمان نسخ منها : ففي ثلاث منها أهمل ذكر المؤلف وفي اربع منها نسبت الى ابن كمال باشا : نارة باسمها الحقيقي . وتارة باسم (سقطات العوام) و (اغلاط العوام) لكن هذه التسمية للموضوع لا للرسالة كما ذكرنا آنفاً . وفي نسخة واحدة من تلك النسخ نسبت للبرجاني (اي البركوي) . وقد قال المستشرق منظم الفهرست تعليقاً على بعض نسخ هذه الرسالة ما ترجمته (مؤلف هذه النسخة غير مكتوب اسمه عليها . والمؤلف إما محمد دبيري البرجاني (البركوي) وإما ابن كمال باشا . ومن الممكن ان يكون الاصح هو الاخير) اه .

وكتب لي الاستاذ تيور باشا يقول : إنها لابن كمال باشا وان لديه ثلاث نسخ منها وكلها معزوة اليه . ثم قال انه لا شبهة في ذلك . اما انا فأقول ان لدي بعض الشبهة لما ذكرت آنفاً من اغفال صاحب كشف الظنون لاسم مؤلفها ولان منظم الفهرست الالماني قد شك وتردد في المؤلف . ولا بد ان يكون تردده ناشئاً عن كثرة ماله من نسخ تلك الرسالة وعدم اتفاقها على نسبتها الى ابن كمال باشا .

وكانت هذه الرسالة طبعت منذ بضع واربعين سنة في ليدن طبعها الاستاذ الفاضل (الشيخ عمر السويدي ^(١)) في جملة رسائله وقد عزا (رسالة التنبيه) الى ابن كمال باشا وقال انه طبعها بعد ان عارضها بنسخة محفوظة في مكتبة مونيخ عاصمة بافاريا ثم قال (ان نسخته والنسخة المونخية على جانب من التحريف والتصحيف لا بُدرك المعنى منه) . وقد ننצל

(١) ذكر الاستاذ تيور باشا في كتابه الينا : ان الشيخ عمر السويدي هذا ناشر رسالة ابن كمال باشا — هوفيا يقال الكونت لندبرج المستشرق المشهور المتوفي في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٤م يعني وليس هو من علماء الاسلام في بغداد كما يتبادر الى الذهن . ولعل احد المستشرقين من اعضاء مجمعنا العلمي يحقق لنا ذلك .

الاستاذ تيمور باشا فأرسل اليها هذه النسخة المطبوعة لنعارضها بنسختنا قبل نشرها في المجلة . فعارضناها وصححنا نسختنا عليها تصحيحاً استوفينا فيه الضبط الكامل اللهم الا بعض جمل بقي لنا فيها شيء من شبهة وسنشير اليها في مجلها من الرسالة . وقد علقنا على الرسالة في ذيل الصفحات شروحاتاً . تزيد بعض الابحاث انكشافاً ووضوحاً . هذا وان طبع هذه الرسالة في اوربا منذ اكثر من اربعين سنة — لا يقلل من قيمة نشرها في مجلتنا الآن لان النسخ القليلة المطبوعة في اوروبا فقدت واصبحت نادرة الوجود . فيكون في نشرها الآن فائدة نرجو ان نفع من القراء . موضع الرضا .

محقق الرسالة وناشرها

المعربي

وهذه هي الرسالة :

(التنبية على غلط الجاهل والنبية)

« لابن كمال باشا »

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي جعلنا من زُصرة من تليم . ولم يجعلنا من الذين يجرّون الكلام . فحمده على ما شرّف السُّنن^(١) بالآسن والفضاحة . وعصمها عن الانيان بما يوجب الفضاحة . ونصلي على سيدنا محمد الذي أفهم بهانه^(٢) البديع كل خطيب . وعلى آله وصحبه ما ناه الحماهم وعزّده^(٣) العندليب . (اما بعد) فإن اول ما يجب ان يُعلم . وأولى ما يُبذل فيه العِلم . إقامة اللسان . وصونه عن الهدايان . اذ من الالفاظ تستفاد المعاني . وبها تظهر أسرار السبع المثاني . بل كل علم مفترق اليها . وكل فن معزّل عليها . وقد شاع بين أصحابنا من السقّطات . إما لعدم الالتفات . او لميل النفوس الى العادات . اولقلة الإيلف باللغات --- ما هو أجدر بالواد من البنات . وأولى بالستر من السيئات . ولولا حذبي على الاخوان . وميلي الى التخلان . لضربت عن ذكره صفحا . وطويت عن نشره كشفاً . أُنْفَعاً^(٤) من التعرض للالفاظ السخيفة .

(١) في نسخة السُّنن (٢) في نسخة بهانه (٣) في نسخة عزّده اي صوّت (٤) في نسخة أنفَعاً .

وحذراً من التحكك بالعقول الضعيفة . اذ نحن في زمن أدبر فيه الانصاف . وأقبل
 الاعتساف . وغار^(١) العلم وغاض . وفار الجبل وفاض . وُضع فيه الرفيع . ورُفع
 فيه الوضيع . وعدّ الفضل فيه من المعاييب . والعلم من المصائب . والعناد طباعاً . والهوى
 مطاعاً . وكم نادر وقع فيه الجدال . وارنفع فيه^(٢) القيل والقال . فقلت : أي خطب
 ادعيه وافطع . وامرّ واجمع . من شيوع الاغاليط . ووقوع التخاليط . في اللسان
 العربي المبين . مرقاة مراتب علوم الدين . بين المدّعين في العلوم شمولاً . وأن لهم فيها
 بدأطولى . فقالوا بعدما أطالوا : ان الغلط المشهور أفصح . فقلت حجبتم عن النحال^(٣) في
 صورة الحال بل هو أفصح . لان الغلط الفصحان صح ان يكون . فلا اقل من ان يستعمله
 المولدون . واما الذي استعمله الجهال فيما بينهم . فإنما زادوا به شينهم . وما أحسن
 ما قاله صاحب الاقليد . وهو اجدر بالقبول والتقليد : لو كان جري العادة باستعمال
 هذا النحو^(٤) نسخته له حجة صحيحة للزم ان يصح كل ما استعمله العوام : من نحو القصر
 في التمرس . وبالجملة فالنحو كلال الكلام . ودليل القصور في العلم والأفهام . ألا ترى
 الى ابي الاسود الدؤلي كيف يفتخر بصحة الكلام . والارتفاع عن طبقة العوام حيث يقول :
 (ولا اقول لقدرا قوم قد غليت . ولا اقول لباب الدار مغلوق)

أوما ترى الى عبد الملك بن مروان كيف يقول مخاطباً لخالد بن يزيد : (أـيـفـيـ
 عبد^(٥) الله تكلمي وقد دخل عليّ فما أقام لسانه لنا) يعني انه جدير بالاحقار . خالق
 بالاستصغار لاجل لحنه . (واما) قول الفزاري :

(منطق رائع وتلحن أحياناً وخير الحديث ما كان لحناً)

فليس مما نحن فيه : لانه من لحن له اي قال له قولاً بفهمه ويخفى على غيره .

(١) في نسخة وغاب (٢) في نسخة خيام القيل والقال (٣) في نسخة «عن الحال في صورة
 الحال» . وهذا من المواضع التي غمض علينا معناها وقد عدنا بالاشارة اليها . (٤) قوله
 باستعمال الخ هو ايضاً من الجمل التي غمض علينا معناها . والنسخ سواء فيها . (٥) عبد الله
 هذا هو اخو خالد وقد دخل خالد على عبد الملك بماتبه على ما صدر من ابنه الوليد بشأن اخيه
 عبد الله المذكور فقال له عبد الملك أفي عبد الله الخ راجع لثمة القصة في ترجمة خالد
 ابن يزيد في الجزء الاول من ابن خلكان .

ثم اني لما رأيتهم لا يجوزون حول الرشاد . ولا يذكرون ما هم عليه من العناد . ووجدت
للطعن فيهم محالا . فقلت بديهة وارتمالا .

(الى الله اشكو التابعين بجهلهم فنون المعاني بالدعوي الكواذب)

(تحريك رأس بعد أبس عمامة وغمز بعين ثم رمز بحاجب)

ثم شمرْتُ عن ساق الاجتهاد . وكملت ناظري بكحل السهاد . فنقبت ما شاع
بينهم وذاع . وقلبت كما يقاب السماسرة المتساع . فجمعت الاغلاط المتداولة الا
ما لم يصل الى السمع . او غاب عن الخاطر وقت الجمع . وحين ابى قلبي الانحقيقه . ويدي
الانميقة . رأيت ان لا اقتصِر على حلها ^(١) . بل آتي بالاوهام كلها . اذ ما من لنظ
منها الا ويخني على بعض . وان كان على بعض جليئا . ويحتاج الى حله واحد وان كان
الاخر عنه غنيا . فأوردتُ الكَل تعلقا للبتدي . وتذكيرا للنتهي . فحصل لي ما أربى
على مئة لفظ من السقَط . بعضها للخاصة وبعضها للعامة فقط . وذكرت مراعيًا ترتيبًا
للحروف الاصلية في الاول والثاني . دون الآخر الذي هو أساس المعاني . اذ لو اعتبر
لزادت عدة الفصول والابواب . على حجم هذا الكتاب . وسميتها (التنبيه على غلط
العوام ^(٢)) والتنبيه) . وهاتان اُشرع في المرام . مستفيضًا من الله الملك العلام . فنقول :
مما يجب ان يُعلم ان ما ينبغي ان يُجنب من الالفاظ اقسام . قسم يجوزُه بعض اهل
اللسان مطلقًا او في حال من الاحوال . وقسم لم يجوزُه احد منهم ولكن شاع بين اهل
النصنيف استعماله . وقسم لم يجوزُه احد ولم يستعمله الا من لا خبرة له بالكلام .
(أما الاول فكالضفدع يفتح الدال والجنازة يفتح الجيم والحلقة يفتح اللام والتخمة يسكون
الخاء : فأما الضفدع فالصحيح فيه كسر الدال . قال في الصحاح : وناس يقولونه يفتح
الدال وانكره الخليل . وقال في القاموس ضفدع كدريم قليل او مردود . وأما الجنازة
فاختار صاحب الصحاح فيها كسر الجيم حيث يقول : الجنازة واحدة الجنائر . والعامة
تفتحها . وجوز صاحب القاموس الفتح حيث قال : الجنازة الميت و يفتح او بالكسر الميت
وبالفتح السرير . وعكسه او بالكسر السرير مع الميت اه . وأما الحلقة يفتح اللام فحسكه

(١) كذا في النسخ ولعل الأصوب جعلها اي معظمها بدليل قوله بعده كلها .

(٢) صوابه (غلط الجاهل والتنبيه) كما مر في كلتنا التي حققناها اسم الكتاب في المقدمة .